obeikandl.com

# سورة الأحزاب

من السور المدنية التي تتناول الجانب التشريعي لحياة الأمة الإسلامي، شأنها شأن السور المدنية.

**آياتها:** ثلاث وسبعون آية.

ويمكن أن نلخص المواضيع الكبرى لهذه السورة الكريمة في نقاط ثلاث :

**أولاً:** التوجيهات والآداب الإسلامية.

**ثانيًا:** الأحكام والتشريعات الإلهية.

**ثالثًا:** الحديث عن غزوتي الأحزاب وبني قريظة.

**فالأول:** جاء فيه الحديث عن بعض الآداب الاجتماعية، كآداب الوليمة، وآداب الستر والحجاب، وعدم التبرج، وآداب معاملة الرسول، واحترامه، وتوقيره.... إلى آخر ما هنالك من آداب اجتماعية.

**والثاني:** تناول الأحكام التشريعية مثل: حكم الظهار والتبني والإرث، وزواج مطلقة الابن من التبني، وتعدد زوجات الرسول الطاهرات والحكمة منه، وحكم الصلاة على الرسول ﷺ وحكم الحجاب.

**وأما الثالث:** فقد تحدثت السورة بالتفصيل عن غزوة الخندق - التي تسمى «**غزوة الأحزاب**» - وغزوة بني قريظة.

تضمنت سورة الأحزاب خمسة نداءات للنبي ﷺ بصفته هادي الأمة وقائدها، وبعد كل نداء: ذكر المطلوب منه لتنفيذه فيما يخصه وفيما يعني الأمة كلها.

ومع النداءات الموجهة للرسول ﷺ وجهت سبعة نداءات للمؤمنين.

**التسمية :**

سميت سورة الأحزاب؛ لأن المشركين تحزبوا على المسلمين من كل جهة، فاجتمع كفار مكة مع غطفان وبني قريظة وأوباش العرب في حرب المسلمين، ولكن الله ردهم مدحورين بتلك المعجزة الباهرة،

obeikandl.com

وكفى الله المؤمنين القتال [١].

* * *

(١) راجع تفسيري: صفوة التفاسير، وفي ظلال القرآن.

obeikandl.com

# النداء الأول

## نعم الله يجب أن تشكر

يقول الله - تعالى - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً (٢٠) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ

عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) ورَدَّ اللَّهُ الَذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وكَفَى اللَّهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ وكَانَ اللَّهُ قَوِيًا عَزِيزًا (٢٥) وأَنزَلَ الَذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وديَارَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ وأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩-٢٧].

## صلة الآيات بما قبلها :

لما ذكر الحق ﷻ العهد الذي أخذه على الأنبياء من إخلاص العبادة لله - تعالى - ورتب على ذلك الجزاء بشقيه (**الثواب والعقاب**)، فقال :﴿ وإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ومِنكَ ومِن نُّوحٍ وإِبْرَاهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧-٨].

وهنا أمر الأنبياء وأتباعهم بشكر الله ﷻ على تلك النعم العظيمة حتى يستوجبوا المزيد في الدارين، فقال :﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ... ﴾.

## معاني المفردات والتراكيب :

﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾: بمعنى قوموا بشكرها، وليس المراد: ذكرها باللسان فقط، ولذا قال الله - تعالى - :﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣].

﴿ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ ﴾: أي: بنو قريظة.

﴿ ومِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾: أي: قريش وغطفان.

﴿ وإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ ﴾: مالت عن سننها حيرة ودهشة.

﴿ وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ ﴾: أي: ارتفعت عن أماكنها من شدة الخوف والذهول حتى بلغت الحناجر، وهي نهايات الحلاقيم.

﴿ وتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾: وكثرت ظنونكم: هل تُنصرون لإيمانكم؟ أو تُهزمون ابتلاء وتمحيصا لكم؟

﴿ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ ﴾ اختبروا بشدة الحصار.

﴿ وزُلْزِلُوا ﴾: اضطربوا اضطرابًا شديدًا.

﴿ غُرُورًا ﴾: باطلاً أو خداعًا.

﴿ يَثْرِبَ ﴾: أرض المدينة.

﴿ لا مُقَامَ لَكُمْ ﴾: أي: لا يمكن إقامتكم مع الريح الشديدة والجنود الذين لم يروهم.

﴿ عَوْرَةٌ ﴾: قاصية، يُخشى عليها العدو، أو أن جدرها قصيرة يخشى عليها السُّرَّاق.

﴿ فِرَارًا ﴾: أي: هربًا من القتال.

﴿ أَقْطَارِهَا ﴾: أي: نواحيها وجوانبها.

﴿ الفِتْنَةَ ﴾: قتال المسلمين، أو إعلان الكفر.

﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا ﴾: أي: ما ترددوا وما أخروها.

﴿ يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ ﴾: أي يمنعكم من قدره وقضائه.

﴿ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ :أي: المثبطين منكم عن الإسلام ونصرته.

﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾: أي: أقبلوا، أو قرّبوا أنفسكم إلينا.

﴿ الْبَأْسَ ﴾: الحرب والجهاد.

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾: بخلاء عليكم بما ينفعكم.

﴿ يُغْشَى عَلَيْهِ ﴾: أي: تصيبه سكرات الموت وشدائده.

﴿ سَلَقُوكُم ﴾: آذوكم ورموكم بعبارات السباب.

﴿ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾: قاطعة وشديدة كالحديد.

﴿ فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾: أي: أبطل الله أعمالهم.

﴿ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ ﴾: كانوا معهم في البادية.

﴿ أُسْوَةٌ ﴾: قدوة حسنة.

﴿ قَضَى نَحْبَهُ ﴾: وَفَّى نذره أو مات شهيدًا.

﴿ ظَاهَرُوهُم ﴾ أي: عاونوا الأحزاب على المسلمين.

﴿ صَيَاصِيهِمْ ﴾: حصونهم.

obeikandl.com

**من لطائف القرآن الكريم :**

**الأولى:** نعم الله - تعالى - على الخلق جميعًا؛ لكن خُصَّ المؤمنون بالنداء تشريفًا لهم وتكريمًا؛ لأنّهم هم المنتفعون بالتكاليف الشرعية. أمرًا أو نَهيًا ومن عداهم بمثابة الموتى، قال الله - تعالى - :﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

**الثانية:** التنكير في كلمة ﴿جُنُودٌ﴾ للتعظيم أو للتكثير، ولا مانع من اجتماع السرّين، ولا حرج على فضل الله ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

**الثالثة:** في اقتران الجنود بالريح إشارة إلى أن الريح تقوية للجانب الحسي من عُدّة وعتاد وحفر للخندق وأخذ بالأسباب.. والجنود: الذين هم الملائكة تقوية للجانب المعنوي، وهو الإيمان في القلوب، وكل هذا تحقيق للوعد الإلهي الذي لا يتخلف :﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

**الرابعة:** في وصف الجنود بعدم رؤية المؤمنين لهم من أبرز الأدلة على علم الله - تعالى - وقدرته وإرادته، فقد جلبت النفوس على رؤية الأمور المادية المحسوسة، فإذا نصرها الباري بمن لا تراه كان من أقوى الأدلة على قدرة الله التي لا حدود لها.

**الخامسة:** أن الإنسان ضعيف، ولولا لطف الله - تعالى - ورحمته بعباده لكانوا من الهالكين.. فالأحزاب كانوا أضعاف المسلمين عُدَّة وعددًا، ولو خلي بينهم وبين المسلمين لاستأصلوا شأفتهم، ولكن الله سلَّم، فهو ﴿غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

**السادسة:** المنافقون من أخطر الخلق على المجتمعات والأمم، فهم يتلونون تلون الأفاعي فتارة: يتفوهون بالأراجيف والإشاعات، وأخرى يختلقون الأعذار المكذوبة، وثالثة ينقضون عهدهم مع الله ﷻ فيتأرجحون بين الإسلام والكفر.

**السابعة:** أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأنه لا يملك النفع والضر

إلا الله، قال - تعالى - :﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الفِرَارُ إن فَرَرْتُم مِّنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وإذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ . وقال ﷻ :﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا ومَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

**الثامنة** خلق الله - تعالى - الخلق على التوحيد، وفطرة الإسلام، ولكن الشياطين قد اجتالتهم عن ذكر الله وطاعته فآثروا الحياة الدنيا على الآخرة وأحبوا المال حبًّا جمًّا حتى عبدوه من دون الله - تعالى - ومن بين هؤلاء: المنافقون الذين هم أشحة على الخير فانسلخوا من الإيمان إلى الكفر ﴿ ومَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [غافر: ٣٣].

**التاسعة** في النص الكريم إشارة إلى الفرق بين عمل المؤمنين وعمل المنافقين فعمل المؤمنين قائم على الأخذ بالأسباب الشرعية والتعرض لنفحات الله وواسع عطائه ، أما المنافقون: فيعطلون الأسباب ويتمنون تحقيق المآرب: فأحبط الله أعمالهم الصالحة ظاهرًا ﴿ وكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

## غزوة الأحزاب: مواقف وعبر:

لم يُترك المسلمون لهذا القرآن ينْزل بالأوامر والنواهي والتشريعات جملة واحدة.

إنما أخذهم الله بالتجارب والابتلاءات، فقد علم الله أن هذه الخليقة البشرية لا تصاغ صياغة سليمة، ولا تنضج نضجًا صحيحًا، ولا تستقيم على منهج إلا بذلك النوع من التربية الواقعية لحكمة يعلمها، وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير.

كانت الأحداث تقسو على الجماعة المسلمة حتى لتبلغ درجة الفتنة، وكانت فتنة كفتنة الذهب، تفصل بين الجوهر الأصيل والزبد الزائف.

وقد يتساءل أحدنا فيقول: كيف كان الله يربي هذه الأمة بالأحداث والقرآن في آن ؟!!!

عن محمد بن إسحاق قال بإسناده عن جماعة: إن نفرًا من اليهود منهم: سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري،

وكنانة بن أبى الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ وخرجوا حتى قدموا على قريش في مكة.

فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله. فقالت لهم قريش: يا معشر يهود: إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد...

أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه. فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥١-٥٥].

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم، ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشًا قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه.

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان، وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة. والحارث بن عوف من بني مرة. ومسعر بن دخيلة فيمن تبعه من قومه من أشجع.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما جمعوا لهم من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه ﷺ وعمل معه المسلمون فيه.. وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين.

وجعلوا يورون بالضعيف من العمل، ويتسللون إلى أهليهم بغير علم رسول الله ﷺ ولا إذن.

وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بد منها، يذكر ذلك للرسول ﷺ ويستأذنه فيأذن له. فإذا قضى حاجته رجع إلى

ما كان عليه رغبة في الخير واحتسابًا له. فأنزل الله في أولئك المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النور: ٦٢].

ثم قال - تعالى - في المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذنه ﷺ: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور: ٦٣].

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حين نزلت بمجتمع الاسبال من رومة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعوهم.

وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى ثلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم. وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام (أي الحصون). وخرج عدو الله حُيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب بني قريظة وعهدهم. وكان قد وادع رسول الله ﷺ عن قومه، وعاقده على ذلك وعاهده.. فلم يزل حُيي بكعب يعده ويغُرُّه حتى رجع إليه وعاقده على خذلان محمد ﷺ وأصحابه على أن أعطاه عهدًا وميثاقًا: لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدًا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك.

فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

وعظم البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن. ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط!!

وحتى قال أوس بن قيظي أحد بنى حارثة بن الحارث: يا رسول الله،

إن بيوتنا عورة من العدو وذلك عن ملأ من رجال قومه فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة...

فأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون بضعًا وعشرين ليلة قريبًا من شهر، ولم تكن بينه وبينهم حرب، إلا الرمي بالنبل والحصباء.

فلما اشتد البلاء على الناس بعث الرسول ﷺ إلى عيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عوف - وهما قائدا غطفان - فأعطاهما ثلث ثمار المدينة، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن صحابته [1].

فجرى بينه وبينهما حتى كتبوا الكتابة، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا المراودة في ذلك.

فلما أراد الرسول ﷺ أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ **(سيد الأوس)** وسعد بن عبادة **(سيد الخزرج)** فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه.

فقالا له: يا رسول الله، أمر تحبه فتصنعه؟ أم شيئًا أمرك الله به لابد لنا من العمل به؟ أم شيئًا تصنعه لنا؟

قال: «**بل شيء اصنعه لكم، والله ما أصنعه ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما**».

فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله: قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرىً أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك وبه.. نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

قال رسول الله ﷺ: «**فأنت وذاك**» فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا.

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر **(من غطفان)** أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لا يعلمون بإسلامي، فمرني

---

(١) وكان اليهود قد وعدوهم ثمر خيبر سنة إن نصروهم.. [إمتاع الأسماع للمقريزي].

بما شئت فقال رسول الله ﷺ: «**إنما انت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة**».

وقد فعل حتى أفقد الأحزاب الثقة بينهم وبين بني قريظة. وخذل الله بينهم، وبعث عليهم الريح في ليلة شاتية باردة شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم (**خيامهم**)...إلخ.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرَّق الله جماعتهم. دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم لينظر ما فعله القوم ليلاً.

قال ابن إسحاق: فحدثني زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان :

يا أبا عبد الله، أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟

قال: نعم يابن أخي.

قال: فكيف كنتم تصنعون؟

قال: والله لقد كنا نجهد.

فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا.

قال: فقال حذيفة: يابن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله هويًا من الليل ثم التفت إلينا فقال: «**من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟**» يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة «**أسأل الله - تعالى - أن يكون رفيقي في الجنة**».

فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد. فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بُد من القيام حين دعاني. فقال: «**يا حذيفة اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحدث شيئًا حتى تأتينا**».

قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، ولا تقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناءً...

فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤٌ مَن جليسُه؟

قال حذيفة: فأخذت الرجل الذي إلى جنبي فقلت من أنت؟ قال: فلان ابن فلان ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف [يعني الخيل والإبل] وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون!!! ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء.. فارتحلوا فإني مرتحل.. ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه، فوثب به على ثلاث. فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم. ولولا عهد رسول الله ﷺ إليَّ: ألا تُحدث شيئًا حتى تأتيني. ثم لو شئت لقتلته بهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط (أي: كساء) لبعض نسائه مُرجّل (من وشي اليمن) فلما رآني أدخلني إلى رجليه، وطرح على طرف المرط، ثم ركع وسجد وإني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر.

وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فاستمروا راجعين إلى بلادهم [1].

**الأحكام الفقهية :**

**الحكم الأول :وجوب شكر النعم:**

نعم الله على خلقه لا حصر لها، كما قال - جل وعلا -: ﴿ .. وإن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾[إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨]. وشكر النعم ليس قاصرًا على تلفظ اللسان، بل هو إقرار بالقلب بأن الله - سبحانه وتعالى - بيده الخلق والأمر، والنفع والضر.. قال - تبارك وتعالى - :﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا ومَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[فاطر:٢]، وعمل بالجوارح.. قال عز شأنه :﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[العصر]، ولذا فقد أنكر القرآن على مَنْ يتوهمون أن الشكر قاصرٌ على ما نطقت به الألسنة فقال: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[سبأ: ١٣].

وتقصير المكلفين ظاهر؛ إلا أنّهم لو أدوا ما عليهم - قدر استطاعتهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/٤٢٩-٤٣١.

- لكانوا معذورين..فقد أوحى الله ﷻ إلى داود - عليه السلام -: «**يا داود أن اشكرني.. فقال: إلهي: كيف أشكرك والشكر بدوره نعمة تستحق الشكر عليها!! قال الله ﷻ : «الآن شكرتني وعرفتني**».

**الحكم الثاني: في أهم أسباب النصر :**

شاء الباري ﷻ أن يكون الحق والباطل في صراع إلى يوم البعث، والأيام دول، إلا أن الله - سبحانه وتعالى - قد وعد المؤمنين بالنصر فقال - جل وعلا-: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الروم: ٤٧]، وقال - تبارك وتعالى - : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١].

فالإيمان بما يجب الإيمان به من أهمّ أسباب النصر، وهي كلمة مجملة يندرج تحتها جميع الأعمال الصالحة كما في الحديث: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان**»[1].

**الحكم الثالث: في وجوب الأخذ بالأسباب :**

قدرة الله - تعالى - لا حدود لها، وليس بحاجة إلى شيء غيره..قال - تعالى-: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[يس: ٨٢-٨٣]. وأما النصرة للمؤمنين عن طريق الريح، أو الجنود،أو الملائكة أو الطير الأبابيل فهذا ليعلمنا الأخذ بالأسباب واقترانها بمسبباتها..﴿ ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[الكهف: ٤٩].

كما أن في الأخذ بالأسباب تحقيق لمبدأ الابتلاء الذي يقوم عليه التكليف الشرعي.. قال - جل وعلا - :﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾[العنكبوت: ٢] ، ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[الأنبياء: ٣٥].

**الحكم الرابع: في حكم تكذيب وعد الله ورسوله ﷺ :**

ليس الإيمان مجرد دعوى تقال، أو كلام يتردد، بل هو إقرار بالقلب ونطق باللسان، وعمل بالجوارح، وكل هذا لابد أن يكون متفقًا مع

---

(١) سبق تخريجه.

الدين الحق، قال - تعالى - :﴿ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾[الحشر: ٧]. وهذا التكذيب مخرج من الملة، وصاحبه مخلد في النار إن مات على ذلك... قال - تعالى - :﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ومَاتُوا وهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ والْمَلائِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ ولا هُمْ يُنظَرُونَ﴾[البقرة: ١٦١-١٦٢].

قال ﷻ :﴿إنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء: ١٧].

وهؤلاء الذين كذبوا على الله ورسوله فضحهم القرآن حتى لا يغتر بهم غيرهم فقال :﴿وإذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وعَدَنَا اللَّهُ ورَسُولُهُ إلاَّ غُرُورًا﴾[الأحزاب: ١٢].

## الحكم الخامس: أن لكل مخلوق أجل :

أراد الحق ﷻ أن يكون لكل مخلوق أجل لا يتقدم عنه ولا يتأخر قال سبحانه: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[الرعد: ٣٨]، وقال ﷻ :﴿ولِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[الأعراف: ٣٤].

ومهما جَدّ المرء في الأسباب، فإنه لا يقدم آجلاً، ولا يؤجل عاجلاً ولا يجلب نفعًا ولا يدفع ضرًّا.. قال - تعالى - :﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا ومَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[فاطر: ٢]. وقال - جل وعلا-: ﴿وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُوَ وإن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[يونس: ١٠٧]. وقال - تبارك وتعالى - مخاطبًا المنافقين :﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الفِرَارُ إن فَرَرْتُم مِّنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وإذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾[الأحزاب: ١٦].

## الحكم السادس: التثبت من الأخبار واجب :

المؤمن كيس فطن، ينبغي أن يفكر فيما يسمع قبل أن يجد هذا الكلام إلى العقل سبيلاً، حتى لا يبني أي عمل على فكر خاطئ.. قال - تعالى - :﴿ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[الإسراء: ٣٦].

أما من سمع الأراجيف، وسار وراءها فسيجد ما لا تحمد عواقبه، من إضعاف عزائم المؤمنين وتقوية جرأة المشركين.. فقال الله- تعالى - : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا... ﴾.

**الحكم السابع: وجوب إنجاز الوعد :**

قد سبقت كلمة الله - تعالى - ووعده أن جُند الله المؤمنين هم الغالبون، وأن أعداءه هم المغلبون، وقد صرحت آيات من كتاب الله عز وجل بذلك. منها قوله - سبحانه وتعالى - :﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الروم: ٤٧]، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾[غافر: ٥١]، ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[الصافات: ١٧١-١٧٣]، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: ٣٣، الصف: ٩].

**المعنى العام :**

يبدأ الحديث عن حادث الأحزاب بتذكير المؤمنين بنعمة الله عليهم أن ردَّ عنهم الجيش الذي هم أن يستأصلهم لولا عون الله وتدبيره...﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ... ﴾.

ومن ثَمّ يُجْمل في الآية الأولى طبيعة ذلك الحدث بدئه ونِهايته، قبل تفصيله، لتبرز نعمة الله التي يذكرهم بها. ثم يأخذ بعد هذا الإجمال في التفصيل.

﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ أي: الظنون السيئة، أن الله لا ينصر دينه، ولا يتم كلمته [1]. ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ بهذه الفتنة العظيمة ﴿ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ بالخوف والقلق والجوع، ليتبين إيمانهم، ويزيد إيقانهم فظهر - ولله الحمد - من إيمانِهم، وشدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين والآخرين.

وعندما اشتد الكرب، وتفاقمت الشدائد، صار إيمانُهم عن اليقين..﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ

(١) تفسير الكريم الرحمن ص٦٦٠ .

ورَسُولُهُ ومَا زَادَهُمْ إلاَّ إيمَانًا وتَسْلِيمًا ﴾.

وهنالك تبين نفاق المنافقين،وظهر ما كانوا يضمرونه، قال- تعالى-: ﴿ وإذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وعَدَنَا اللَّهُ ورَسُولُهُ إلاَّ غُرُورًا ﴾ وهذه عادة المنافقين عند الشدة والمحنة، لا يثبت إيمانه وينظر بعقله القاصر إلى الحالة الحاضرة، ويصدق ظنه.

﴿ وإذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ.. ﴾بعدما جزعوا وقل صبرهم وصاروا من المخذولين، فلا هم صبروا بأنفسهم، ولا تركوا الناس من شرهم. فقالت هذه الطائفة: (**يا اهل يثرب**) يريدون: يا أهل المدينة، باسم الوطن، إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية ليس لها في قلوبهم قدر[1] .

﴿ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ إلى المدينة، وكانوا عسكروا دون الخندق خارج المدينة. فهذه طائفة تخذل عن الجهد، وتبين أنهم لا قوة لهم بقتال عدوهم، ويأمرونهم بترك القتال، فهذه الطائفة شر الطوائف وأضرها.

وطائفة أخرى دونهم ؛ أصابهم الجبن والجزع، وأحبوا أن ينخذلوا عن الصفوف. فجعلوا يعتذرون بالأعذار الباطلة، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ ويَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أي: عليها الخطر، ونخاف عليها أن يهجم عليها الأعداء، ونحن غُيَّبٌ عنها. فأذن لنا نرجع إليها فنحرسها، وهم كذبة في ذلك.﴿ ومَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إن يُرِيدُونَ ﴾أي: ما قصدهم إلاَّ فِرَارًا ﴾ . ولكن جعلوا هذا الكلام وسيلة وعذرًا لهم، فهؤلاء قل إيمانُهم، وليس لهم ثبوت عند اشتداد المحن.

﴿ ولَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم ﴾ المدينة ﴿ مِّنْ أَقْطَارِهَا ﴾ أي: لو دخل الكفار إليها من نواحيها واستولوا عليها ﴿ ثم ﴾ سئل هؤلاء ﴿ الفِتْنَةَ ﴾ أي: الانقلاب عن دينهم، والرجوع إلى دين المستولين المتغلبين ﴿ لآتَوْهَا ﴾ أي: يعطون للأعداء ما طلبوا ، ويوافقونهم على كفرهم، هذه حالتهم!!!

والحال أنهم ﴿ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وكَانَ عَهْدُ اللَّهِ

---

(١) وأن الذي حملهم على ذلك الخَوَرَ الطبيعي، وكأنهم اختاروا للمدينة هذا الاسم- من أسمائها- لأنهم يعرفون كراهية الرسول ﷺ لتسميتها به. تفسير سورة الأحزاب د/ مصطفى زيد - رحمه الله - .

مَسْئُولاً﴾ سيسألهم عن ذلك العهد، فيجدهم قد نقضوه. وقد قيل: إنه كان عهد من بني حارثة في يوم أحد، وهم الذين هموا أن يفشلوا مع بني سلمة، ثم عاهدوا الله ألا يعودوا لمثله أبدًا. وقيل: بل هم قوم غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن. لقد أخلف هؤلاء أو أولئك عهد الله: فما ظنهم إذًا بربّهم.

قُل لهم لائمًا على فرارهم، ومخبرًا أنّهم لا يفيدهم ذلك شيئًا ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ الفِرَارُ إن فَرَرْتُم مِّنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ﴾ فلو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، والأسباب تنفع إذا لم يعارضها القضاء والقدر، فإذا جاء القضاء والقدر، تلاشي كل سبب، وبطلت كل وسيلة ظنها الإنسان تنجيه.

﴿وإذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ أي: حين فررتم لتسلموا من الموت والقتل، ولتنعموا في الدنيا فإنكم لا تمتعون إلا قليلاً لا يساوي فراركم وتركككم أمر الله، وتفويتكم على أنفسكم التمتع الأبدي، وكل موعد في الدنيا قريب وكل متاع فيها قليل.

ثم بيّن أن الأسباب كلها لا تغني عن العبد شيئًا، إذا أراد الله به سوءًا.

﴿قُلْ مَن ذَا الَذي يَعْصِمُكُم﴾ أي: يمنعكم من الله﴿إنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ أي: شرًّا ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ فإنه هو المعطي المانع، الضار النافع، الذي لا يأتي إلا بالخير، ولا يدفع السوء إلا هو.

﴿ولا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وليًا ولا نَصِيرًا﴾ ولا مولى ولا نصير من دون الله يحميهم ويمنعهم من قدر الله.

ثم توعد - تعالى - المخذّلين المعوقين عن الخروج لمن لم يخرجوا ﴿والْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ﴾ الذين خرجوا ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي: ارجعوا كما تقدم في قولهم :﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ وهم مع تعويقهم وتخذيلهم ﴿ولا يَأْتُونَ البَأْسَ﴾ أي: القتال والجهاد بأنفسهم﴿إلاَّ قَلِيلاً﴾ فهم أشد الناس حرصًا على التخلف، لعدم الإيمان والصبر.

وهذا نموذج مكرر في الناس: صورة للجبن والانزواء، والفزع والهلع.

﴿ فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ ﴾ من شدة الجبن الذي خلع قلوبَهم، والقلق الذي أذلهم ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ ﴾ وصار في حال الأمن والطمأنينة ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ أي: خاطبوكم وتكلموا معكم بكلام حديد، ودعاوى غير صحيحة، وحين تسمعهم تظنهم أهل الشجاعة والإقدام.

﴿ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ ﴾ الذي يراد منهم، وهذا شرّ ما في الإنسان أن يكون شحيحًا بما أمر به، شحيحًا بماله أن ينفقه في وجهه، شحيحًا ببدنه أن يجاهد أعداء الله، أو يدعو إلى سبيل الله، شحيحًا بجاهه، شحيحًا بعلمه ونصيحته ورأيه.

لماذا كان قعودهم عن الجهاد، وحثهم غيرهم على هذا القعود عنه؟

ولماذا كان خوفهم - حين الشدة - إلى ذلك الحد الذي يثير الضحك والسخرية ؟!! ثم كانت سلاطة ألسنتهم حين الرخاء إلى ذلك الحد الذي يثير الاشمئزاز؟

ولماذا كان شحهم على الخير شحًّا لا نظير له، فلا بذل للمال، ولا للحب، ولا للجهاد في سبيل الدعوة ؟

تُبين الآية سر هذا كله حين تقول :﴿ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ فإن قلبًا لم ينبثق منه نور الإيمان، ولم يسر في حياته على هدىً منه ﴿ فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أي: أبطلها بسبب عدم إيمانِهم ﴿ وكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ شأن كل شيء أمام قدرة الله!!!

وتجيء الآية التالية لترسم اضطرابَهم وحيرتَهم وجزعهم ﴿ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وإن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ولَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ فهم لشدة خوفهم وفزعهم يتصورون أن الجموع الكافرة لم تعد من حيث جاءت.. وما زالت تحاصر المدينة وتُهددها بالهجوم عليها!!!

فخاب ظنهم وبطل حسبانُهم، وقد تكفل الله - تعالى - بقهرها،

وبنصر المسلمين عليها دون قتال، فعادت من حيث جاءت تجر أذيال الهزيمة والعار.

وهم لشدة إحساسهم بالانفصال عن المسلمين، وبعد ما بينهم وبينهم يتمنون لو كانوا بدوًا ضمن أعراب البادية ﴿وإن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾ ليس بينهم وبين المسلمين صلة. حتى إنّهم ليسألون عن أخباركم سؤال الفضولي الذي يحرصُ على إشباع فضُوله، لا سؤال المشفق المشارك بعواطفه في المعركة.

﴿ولَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً﴾ وهم لشدة جبنهم لو قصرتُهم الظروف واضطرتُهم أن يكونوا مع المؤمنين في أتون المعركة، ما شاركوا في القتال إلا بقدر ما يغطون به موقفهم، وهو قتال ضعيف قصير الأمد؛ لأن مثله إنما يكون لستر موقفهم.

ذلك حال المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، والمرجفين في الصفوف ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

لقد حضر ﷺ الهيجاء بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم عن أمر جاد رسول الله ﷺ بنفسه فيه[1].

**ويحسن أن نلم بلمحات من هذا الموقف على سبيل المثال :**

أ- خروجه ﷺ للعمل مع المسلمين: يضرب بالفأس، ويجرف التراب بالمسحاة، ويحمل التراب في المكتل. ولنا أن نتصور هذا الجو الذي يعمل فيه المسلمون والرسول ﷺ بينهم يحنو عليهم، ويرجع معهم الغناء.

ب- أخذه المعول من يدي سلمان الفارس رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: وحُدثت عن سلمان الفارسي أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق، فغلظت على صخرة، ورسول الله ﷺ قريب منّي،

---

(١) فانظر رحمك الله إلى ما كان عليه النبي ﷺ وما عليه قادة المسلمين الآن ؟ عاملهم الله بعدله.

فلما رآني أضرب، ورأى شدة المكان عليّ، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة، قال: ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى، قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا الذي رأيت، لمع المعول وأنت تضرب؟ قال: أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟ قلت: نعم. قال: أما الأولى، فإن الله فتح عليّ بها اليمن. وأما الثانية، فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح بها المشرق.

ج- صورة حذيفة، عائدًا من استطلاع الخبر، وقد أخذه القر[1] الشديد، ورسول الله ﷺ قائم يصلي في ثوب لإحدى أزواجه، فإذا هو في صلاته واتصاله بربه، لا يترك حذيفة يرتعش حتى ينتهي من صلاته، بل يأخذه ﷺ بين رجليه، ويلقي عليه طرف الثوب ليدفئه في حنو، ويمضي في صلاته حتى ينتهي، فينبئه حذيفة النبأ، ويلقي إليه البشرى التي عرفها قلبه ﷺ فتأسوا به في هذا الأمر وغيره[2].

واستدل الأصوليون بهذه الآية على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ وأنه أسوة أمته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به.. فالأسوة نوعان أسوة حسنة، وأسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة في الرسول ﷺ فإن المتأسي به: سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره - إذا خالفه - فهو الأسوة السيئة، كقول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٢].

وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان وخوف الله ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ.

ولما ذكر حال المنافقين عند الخوف، ذكر حال المؤمنين فقال:

---

(١) أي البرد.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٦٦١.

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾.

فالآية تشير - على ألسنة المؤمنين - إلى وعد الله ﷻ إياهم بقوله في سورة البقرة :﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ وصدق الله ورسوله، فإنا رأينا ما أخبرنا به.

﴿ وَمَا زَادَهُمْ ﴾ ذلك الأمر ﴿ إِلاَّ إِيمَانًا ﴾ في قلوبهم ﴿ وَتَسْلِيمًا ﴾ في جوارحهم وانقيادًا لأمر الله.

**الوفاء بالعهد :**

ولما ذكر أن المنافقين قد عاهدوا الله لا يولون الأدبار ونقضوا ذلك العهد ذكر وفاء المؤمنين فقال - تعالى - :﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾.

وقد روي سعيد بن جبير عن ابن عباس- رضي الله عنهما - في قوله- تعالى-: ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ ﴾ قال: الموت على ما عاهد الله عليه. ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ الموت على ما عاهد الله عليه [1].

وروى ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أنس بن النضر غاب عن قتال بدر، فقال: غبت عن قتال رسول الله ﷺ لئن أشهدني الله قتالاً ليَرينَّ الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني المسلمين) فمشى بسيفه، فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد، إني لأجد ريح الجنة دون أحد.

فقال سعد: يا رسول الله، فما استطعت أن أصنع ما صنع!!!

قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى، به بضع وثمانون جراحة، بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم. فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه.

قال أنس: فكنا نتحدث عن هذه الآية :﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا... ﴾

(١) جامع البيان ٢١/٩٣.

أنها نزلت فيه وفي أصحابه [١].

وهؤلاء الأصحاب الذين نزلت فيهم الآية، من بينهم حمزة عم رسول الله ﷺ ومصعب بن عمير - رضي الله عنهما -.

ففي هؤلاء وأمثالهم: نزل قول الله - تعالى - :﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ ﴾ والنحب: النذر، وهو: أن تلتزم شيئًا من أعمالك وتوجبه على نفسك. وقضاؤه: الفراغ منه، والوفاء به.

وهؤلاء الذين ينتظرون بلهفة أن يستشهدوا، ويمضون ساعات حياتهم في ترقب الفرصة لتحقيق هذه الأمنية وإتمام الوفاء بعهدهم مع الله ﷻ.

هؤلاء وأولئك، لم يقع منهم أي تغيير أو تحول عما عاهدوا الله عليه كما بَدَّل غيرهم.

**ونتساءل:** ما الدافع أو الحافز الذي يدفع الشباب إلى إلقاء نفوسهم في أتون المعركة؟ كما فعل أتباع محمد ﷺ أمثال الشهيد: مصعب بن عمير، والشهيد حمزة بن عبد المطلب، والشهيد جعفر بن أبي طالب، والشهيد زيد بن حارثة، والشهيد صهيب الرومي، والشهيد: أنس بن النضر - رضي الله عنهم أجمعين -.

وما المقابل الذي يجعل الرجل يضحي بحصيلة عمره وثمرة حياته، بل وبكل ما يملك؟

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي ضحَّى بكل ما يملك في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين وعندما سأله رسول الله ﷺ ماذا تركت لأولادك يا أبا بكر؟!! فقال الرجل: تركت لهم الله ورسوله.

وهذا أيضًا عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي جَهز جيش العسرة المسافر لنشر دين الله ورفع كلمته، واشترى بئر رومة للمسلمين. وقال ﷺ «**ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم**» [٢].

---

(١) المرجع السابق ٢١/٩٣.

(٢) **حسن:** رواه الترمذي، كتاب: المناقب، باب: في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، حديث (٣٧٠١)، وأحمد في مسنده (٥/٦٣)، والحاكم في المستدرك (٣/١١٠)، حديث (٤٥٥٣) . وحسنه الألباني في صحيح الترمذي .

وعبد الرحمن بن عوف، وخديجة بنت خويلد وغيرهم كثير، قد فعلوا ما سطرته كتب التاريخ والسير بحروف من نور.. نعم، ما الدافع وما المقابل؟

إن الدنيا وما فيها لا تساوي نَفَسًا واحدًا يفقده الإنسان، ويحول بينه وبين لحظة من الحياة. فالذي يوازن الحياة ويكافئها لا نظير له في عالم الوجود.. وإذا كان ذلك كذلك، فهل هو موجود؟ وأين يوجد؟

إنه موجود لا سبيل إلى إنكاره؛ لأنه الجانب الآخر من شقي الحياة... إنه الوجود الأخروي.. كما أخبرت به العقيدة، وبشرت به الرسل.. إنه الجنة.

هذا هو الذي يعادل الحياة، ولذلك قال - تعالى - :﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ... ﴾[التوبة: ١١١] [(١)].

فهؤلاء هم الرجال على الحقيقة، ومَن عداهم فصورهم صور رجال، وأما الصفات فقد قصرت عن صفات الرجال، بل عدهم القرآن في حكم الموتى!!! قال - عز شأنه - :﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

وهذه الصورة الوضيئة لهذا النموذج من المؤمنين تُهديها إلى شهداء الأقصى، الذين يتساقطون يومًا بعد يوم.. ولقد سمعت أحد الآباء يقول: «**إني زففت ابني إلى عرسه مرتين.. مرة من ستة أشهر (يقصد زواجه)** ومرة الآن **(عندما رزق الشهادة)**.

فعلينا ألا نيأس من أنفسنا، وألا نَهلع ونحسب أننا هلكنا. ولكن علينا في الوقت ذاته ألا نقف أمام ضعفنا من فطرتنا البشرية. علينا أن نستمسك بديننا، ونسترد الثقة والطمأنينة، ونتخذ من الزلزال بشيرًا بالنصر، ونثق في وعد الله ﷻ.

ويعقب في الآية التالية ببيان حكمة الابتلاء، وعاقبة النقض والوفاء، وتفويض الأمر في هذا كله لمشيئة الله :﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ

(١) راجع كتاب: **(رجال ونساء انزل الله فيهم قرآنًا)** للدكتور عبد الرحمن عميرة.

الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أي: ليجزي الصادقين بسبب صدقهم في أقوالهم وأحوالهم، واستواء ظاهرهم وباطنهم. قال- تعالى- : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

أي: قدرنا ما قدرنا من هذه الفتن والمحن، ليتبين الصادق من الكاذب ﴿ ويُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ ﴾ الذين تغيرت قلوبُهم وأعمالهم عند حلول الفتن، ولم يفوا بما عاهدوا الله عليه، كما قال - تعالى - :﴿ ولَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ والصَّابِرِينَ ونَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١].

﴿ إِن شَاءَ ﴾ تعذيبهم، بأن لم يشأ هدايتهم، بل علم أنّهم لا خير فيهم فلم يوفقهم ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ بأن يوفقهم للتوبة والإنابة. وهذا هو الغالب على كرم الكريم، ولهذا ختم الآية باسمين دالين على المغفرة والفضل والإحسان، فقال :﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

﴿ غَفُورًا ﴾ لذنوب المسرفين على أنفسهم ولو أكثر من العصيان، إذا أتوا بالمتاب. ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بهم حيث وفقهم للتوبة، ثم قبلها منهم وستر عليهم ما اجترحوه [1].

وتعود الآيات إلى قصة الأحزاب لتذكر خاتمتها..﴿ ورَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ .

أي: ردهم خائبين، دون أن ينالوا شيئًا مما كانوا يتطلعون إليه، مع أن المؤمنين لم يشتبكوا معهم في قتال، وقد بدأت المعركة وسارت في طريقها، وانتهت إلى نهايتها، وزمامها في يد الله، يصرفها كيف يشاء.

فأسند إلى الله - تعالى - إسنادًا مباشرًا كل ما تم من الأحداث والعواقب، وهذا من نصر الله لعباده المؤمنين.

﴿ وكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ لا يغلبه، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل القوة والعزة قوتهم وعزتهم، إن لم يعنهم الله بقوته وعزته. ولم تدر الدائرة على المشركين وغطفان وحدهم، بل دارت كذلك على بني

(١) تيسير الكريم الرحمن ٦٦٢.

قريظة حلفاء المشركين من يهود :

﴿ وأَنزَلَ الَذينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وديَارَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ وأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ .

## قصة اليهود مع المسلمين في المدينة :

إن اليهود في المدينة لم يهادنوا الإسلام بعد وفوده عليهم إلا فترة قصيرة. وكان رسول الله ﷺ قد عقد معهم مهادنة أول مقدمه إلى المدينة.

أوجب لهم - فيها - النصر والحماية، مشترطًا عليهم ألا يغدروا ولا يفجروا ولا يتجسسوا ولا يعينوا عدوًّا، ولا يمدوا يدًا بأذى.

ولكن اليهود ما لبثوا أن أحسوا بخطر الدين الجديد على مكانتهم التقليدية بوصفهم أهل الكتاب الأول. وقد كانوا يتمتعون بمكانة عظيمة عند أهل يثرب بسبب هذه الصفة.

وقد كانوا قبل ذلك يستغلون الخلاف القائم بين الأوس والخزرج لتكون لهم الكلمة العليا في المدينة.

فلما وحد الإسلام الأوس والخزرج تحت قيادة نبيهم الكريم، لم يجد اليهود الماء العكر الذي يصطادون فيه الفريقين.

## القشة التي قصمت ظهر البعير :

إسلام حبرهم وعالمهم عبد الله بن سلام، ذلك أن الله شرح صدره للإسلام، فأسلم وأمر أهل بيته فأسلموا معه.

ولكنه - إن هو أعلن إسلامه - خاف أن تتقول عليه يهود، فطلب إلى رسول الله ﷺ أن يسألهم عنه قبل إسلامه، فقالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا. فخرج - عندئذ - عبد الله بن سلام إليهم. وطلب منهم أن يؤمنوا بما آمن به فوقعوا عليه، وقالوا قالة السوء، وحذروا منه أحبار اليهود، وأحسوا بالخطر الحقيقي على كيانهم الديني والسياسي. فاعتزموا الكيد لمحمد ﷺ كيدًا لا هوادة فيه.

ومنذ هذا اليوم، بدأت الحرب التي لم تضع أوزارها حتى يومنا هذا بين الإسلام واليهود.

واتخذوا - في الحرب - أساليب شتى مما عرف به اليهود في تاريخهم كله :

- اتخذوا خطة التشكيك في رسالة محمد ﷺ
- وإلقاء الشبهات حول العقيدة الجديدة.
- واتخذوا طريق الدس بين بعض المسلمين وبعض، بين الأوس والخزرج مرة، وبين الأنصار والمهاجرين مرة أخرى.
- واتخذوا طريق التجسس على المسلمين لحساب أعدائهم المشركين.
- واتخذوا طريق اتخاذ بطانة من المنافقين الذين يظهرون الإسلام، يوقعون- بواسطتهم- الفتنة في صفوف المسلمين.
- وأخيرًا أسفروا عن وجوههم واتخذوا طريق التأليب على المسلمين كالذي حدث في غزوة الأحزاب.

**أهم طوائفهم :**

**بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.**

وكان لكل منها شأن مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين.

**فأما بنو قينقاع:** كانوا أشجع يهود، فقد حقدوا على المسلمين لانتصارهم في غزوة بدر، وأخذوا يتحرشون بهم ويتنكرون للعهد الذي بينهم وبين الرسول ﷺ خيفة أن يستفحل أمره، فلا يعودون يملكون مقاومته، بعد أن انتصر على قريش في أول اشتباك بينه وبينهم.

وقد ذكر ابن هشام - في السيرة - عن طريق ابن إسحاق ما كان من أمرهم قال: وكان من حديث بني قينقاع: أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال: «**يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، وتجدون ذلك في كتابكم، وعهد الله إليكم**».

قالوا: يا محمد، إنك ترى أنا قومك، لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، وإنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس.

وذكر ابن هشام عن طريق عبد الله بن جعفر قال: كان من أمر بني قينقاع: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى الصائغ بها. فجعلوا يراودونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا عليها، فصاحت، فوثب رجل مسلم على الصائغ فقتله، وكان يهوديًا، وشدت يهود إلى المسلم فقتلوه. فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون.

فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام عبد الله بن أبي ابن سلول (**راس المنافقين**) فقال: يا محمد، أحسن في مواليّ، وكانوا حلفاء الخزرج.

فقبل رسول الله ﷺ شفاعته في بني قينقاع على أن يجلوا عن المدينة، وأن يأخذوا معهم أموالهم عدا السلاح، وبذلك تخلصت المدينة من قطاع يهود ذي قوة عظيمة.

**وأما بنو النضير**: فإن النبي ﷺ قد خرج إليهم في سنة أربع بعد غزوة أحد يطلب مشاركتهم في دية قتيلين قتلهما أحد المسلمين خطأً وذلك على أساس المعاهدة التي كانت بينه وبينهم، فلما أتاهم قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله ﷺ إلى جانب جدار من بيوتهم قاعدة فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي صخرة فيريحنا منه؟

ثم أخذوا في تنفيذ هذه المؤامرة الدنيئة، فأعلم الله رسوله ﷺ بما كان من أمرهم، فقام ورجع إلى المدينة. وأمر بالتهيؤ لحربهم، فتحصنوا في الحصون، وأرسل إليهم عبد الله بن أبي ابن سلول: أن اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم.

ولكن المنافقين لم يفوا بعهدهم.

وقذف الله الرعب في قلوب بني النضير، فاستسلموا بلا حرب ولا قتال. وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم، ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من الأموال إلا السلاح ففعل. فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام. ومن أشرافهم ممن سار إلى خيبر: سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب.. هؤلاء الذين كان لهم ذكر في تأليب مشركي قريش وغطفان في غزوة الأحزاب.

**والآن: تجيء غزوة بني قريظة :**

وقد مر أنهم في غزوة الأحزاب كانوا إلبًا [١] على المسلمين مع المشركين، بتحريض من زعماء بني النضير، وحيي بن أخطب على رأسهم، وكان نقض بني قريظة لعهدهم مع رسول الله ﷺ في هذه الظروف أشق على المسلمين من هجوم الأحزاب من خارج المدينة.

ومما يدل على ذلك: ما روي من أن رسول الله ﷺ حين انتهى إليه الخبر، بعث سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة، وخوات بن جبير - رضي الله عنهم - فقال: «**انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أو لا؟ فإن كان حقًا فالحنوا لي لحنًا** [٢] **ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به في الناس...** ».

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم. نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، ثم رجع الوفد فأبلغوا رسول الله ﷺ بالتلميح لا بالتصريح.

فقال رسول الله ﷺ : «**الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين**» (**تثبيتًا للمسلمين من وقع الخبر السيىء أن يشيع في الصفوف**).

---

(١) أي: يؤلبون المشركين ويحرضونهم على قتال المسلمين.

(٢) أي: كلامًا يفهم الرسول ﷺ المراد ولا يضعف عزيمة المسلمين.

ويقول ابن إسحاق: وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق.. إلخ [١].

فلما أيد الله - تعالى - نبيه بنصره، ورد أعداءه بغيظهم لم ينالوا خيرًا. وكفى الله المؤمنين القتال.. رجع النبي ﷺ إلى المدينة منصورًا، ووضع السلاح، فبينما رسول الله ﷺ يغتسل من وعثاء المرابطة في بيت أم سلمة - رضي الله عنها - إذْ تبدَّي له جبريل - عليه السلام - فقال: «**أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال: نعم. قال: ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها!! وهذا أوان رجوعي في طلب القوم، ثم قال: «إن الله - تبارك وتعالى - يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة**» وكانت على أميال من المدينة وذلك بعد صلاة الظهر، قال ﷺ: «**لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة**» [٢]. فسار الناس في الطريق: فأدركتهم الصلاة في الطريق، فصلى بعضهم في الطريق، وقالوا: لم يرد رسول الله ﷺ إلا التعجيل. وقال آخرون: لا نصليها إلا في بني قريظة، فلم يعنف واحدًا من الفريقين.

وتبعهم رسول الله ﷺ وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم (**الذي نزلت بسببه سورة عبس وتولى**) رضي الله عنه وأعطي الراية علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ثم نازلهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه ؛ لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية.

واعتقدوا أنه يحسن إليهم - في ذلك - كما فعل عبد الله بن أبي ابن سلول في مواليه في بني قينقاع حتى استطلقهم من رسول الله ﷺ

فظن هؤلاء أن سعدًا سيفعل فيهم كما فعل ابن أُبي في أولئك. ولم

---

(١) راجع تفسير (**في ظلال القرآن**) للشهيد سيد قطب.

(٢) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، حديث (٤١١٩)، ومسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: المبادرة بالغزو، حديث (١٧٧٠) . وانظر: الاستذكار لابن عبد البر ١٠٣١١.

يعلموا أن سعدًا ﷺ كان قد أصابه سهم في أكحله [١] أيام الخندق، فكواه رسول الله ﷺ في أكحله، وأنزله في قبة المسجد ليعوده من قريب. وقال سعد ﷺ فيما دعا به: «**اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنا لها، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة**».

فاستجاب الله - تعالى - دعاءه، وقدر عليهم أن ينْزلوا على حكمه باختيارهم طلبًا من تلقاء أنفسهم.

فعند ذلك استدعاه رسول الله ﷺ من المدينة ليحكم فيهم. فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطأوا له عليه جعل الأوس يلوذون به يقولون: يا سعد إنّهم مواليك فأحسن إليهم، ويرققونه عليهم ويعطفونه وهو ساكت لا يرد عليهم. فلما أكثروا عليه قال ﷺ: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، فعرفوا أنه غير مستبقيهم.

فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم**» فقام إليه المسلمون فأنزلوه إعظامًا وإكرامًا واحترامًا له في محل ولايته، ليكون أنفذ لحكمه فيهم.

فلما جلس، قال له رسول ﷺ: «**إن هؤلاء، وأشار إليهم قد نزلوا على حكمك، فاحكم فيهم بما شئت فقال ﷺ وحكمي نافذ فيهم؟ قال ﷺ: «نعم»**» قال: وعلى من في هذه الخيمة؟ قال ﷺ: «**نعم**». قال: وعلى من هاهنا (**وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله ﷺ وهو معرض بوجهه عن رسول الله ﷺ إجلالاً وإكرامًا وإعظامًا**).

فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، فقال ﷺ: إني أحكم أن نقتل مقاتلتهم، وتسبى ذريتهم وأموالهم. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت بحكم الله - تعالى - من فوق سبع أرقعة**» [٢].

ثم أمر رسول الله ﷺ بالأخاديد فخدت في الأرض، وجيء بهم

---

(١) هو عرق رئيسي في الذراع لا يرقأ إلا إذا قطع.

(٢) أي: سبع سموات.

مكتفين، فضرب أعناقهم، وكانوا قرابة السبعمائة. وسبي من لم يُنْبت [١] مع النساء والأموال وفيهم حيي بن أخطب، وكان قد دخل معهم في حصنهم كما عاهدهم.

منذ ذلك اليوم: ذلت يهود، وضعفت حركة النفاق في المدينة، وشعر المشركون بعد معركة الأحزاب أن المدينة لا تنال، فلم يفكروا في غزوها.

﴿وأنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم﴾ أي: عاونوهم ﴿مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ أي: من اليهود، ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ أي: من حصونِهم مجعولين تحت حكم الإسلام.

﴿وقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ فلم يَقْوَوُا على القتال، بل استسلموا وخضعوا وَذَلُّوا ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وهم الرجال المقاتلون ﴿وتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ وهم النساء والذرية ﴿وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وديَارَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ وأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ أي: أرضًا كانت من قبل من شرفها وعزتها عند أهلها لا تتمكنون من وطئها، فمكنكم الله منها، ومن أهلها، وخذلهم وغنمتم أموالهم.

﴿وكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ لا يعجزه شيء، ومن قدرته قَدّر لكم ما قَدّر، ولم يزل لطف الله بعباده المؤمنين مستمرًّا. وكان تعقيب النبي ﷺ على ما حدث: «**الحمد لله وحده، صدق وعده، واعز جنده، وهزم الأحزاب وحده**» [٢].

ومن هنا نرى: أن الله قد أتم لرسوله ﷺ وللمؤمنين المنة، وأسبغ عليهم النعمة، وأقر أعينهم بخذلان مَن انخذل مِن أعدائهم، وقتل مَن قتلوا، وأسر مَن أسروا، ولم يزل لطف الله بعباده المؤمنين مستمرًا [٣].

**ما ترشد إليه الآيات الكريمة :**

١- نعم الله لا حصر لها، والواجب على المؤمنين شكرها عقيدة وقولاً وعملاً.

---

(١) أي: لم تَنْبُت عانته، وهذا كناية عن عدم البلوغ، وهذا من رحمة الإسلام بهم إذ لم يحملوا السلاح على المسلمين.

(٢) المسند ٤٠٦/١، مجمع الزوائد ٧٩/٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٦٦٢.

٢- إذا أحب الله عبدًا ابتلاه، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط.

٣- أن الخير والشر، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، كل هذا بيد الله - تعالى - ﴿ أَلا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٤- أن كل شيء بمشيئة الباري - جل وعلا - ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٦].

٥- أن النفاق لا يأتي بخير، وهو من دلائل الكفر وذهاب اليقين.

٦- أن المنافقين يعبدون الله على حرف، فإن أصابتهم نعماء تظاهروا بالشكر، وإن أصابتهم ضراء أظهروا الكفر والجحود.

٧- أن المؤمنين يعبدون الله - تعالى - على كل حال، فإذا أصابتهم نعماء كانوا من الشاكرين، وإن أصابتهم ضراء كانوا من الصابرين.

٨- أن على الباغي تدور الدوائر، كما أنزل الله بأسه على اليهود ﴿ وكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

٩- أننا مأمورون باتخاذ الأسباب الشرعية امتثالاً لأوامر الشرع، مع اليقين التام أَنَّ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ.

* * *

obeikandl.com

# النداء الثاني

## أفضلية ذكر الله - تعالى - على كل حال

يقول الله - تعالى - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ومَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٤].

### صلة الآيات بما قبلها :

لما مدح الله المؤمنين المطيعين بقوله - تعالى - :﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ ويَخْشَوْنَهُ ولا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ... ﴾[الأحزاب: ٣٩].

أمرهم هنا بمداومة صلتهم بالله ﷻ وتقويتها وذلك بذكر الله- تعالى- فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا... ﴾.

### معاني المفردات والتراكيب :

الذكر لغة: ضد النسيان، واصطلاحًا: التخلص من الغفلة والنسيان، ويأتي بمعنى: الحفظ للشيء، وهو أيضًا: الشيء يجري على اللسان، كما يطلق الذكر على الصلاة لله - تعالى -، ويطلق على الطاعة، والشكر،والدعاء، والتسبيح، وقراءة القرآن، وتمجيد الله، وتهليله، وتسبيحه، والثناء عليه بجميع محامده.

والتسبيح: بمعنى التنْزيه لله عما لا يليق من صفات النقص ووصفة بصفات الكمال اللائقة به - جل وعلا -.

والبكرة: وهي ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس.

والأصيل: وهي ما بين صلاة العصر وغروب الشمس.

﴿ وكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾: الفعل (كان) إن أسند إلى الله - تعالى - يفيد ثبات الصفة ودوامها، ولا يفيد الحدث أو الفعل في زمن مضى فالله

﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والْبَاطِنُ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [1] [الحديد: ٣].

**من لطائف القرآن الكريم:**

**الأولى:** الذكر من أجل الأعمال الصالحة وأفضلها، ويفهم ذلك من تأكيد الفعل ﴿ اذْكُرُوا ﴾ بالمفعول المطلق ﴿ ذِكْرًا ﴾ والنعت ﴿ كَثِيرًا ﴾.

**الثانية:** مجيء كلمة ﴿ ذِكْرًا ﴾ نكرة تفيد التعظيم والتكثير، ويفيد العموم والشمول - أيضًا - وعلى هذا فيندرج تحت الأسلوب جميع أنواع الذكر. بالقلوب والألسنة والجوارح.

**الثالثة:** التنكير أيضًا في كلمتي ﴿ بُكْرَةً وأَصِيلاً ﴾ للإشارة إلى التكثير، ومعنى هذا: أن التسبيح مطلوب في جميع البكرات والآصال، منذ التمييز، حتى يلقى المكلفون ربّهم كما في قوله - تعالى -: ﴿ واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

**الرابعة:** في التعبير عن صلاة الله على المؤمنين وكذا الملائكة بصيغة المضارع إشارة إلى أن رحمات الله وألطافه بالمؤمنين متجددة مستمرة، وما يترتب على ذلك وهو إخراجهم من الظلمات إلى النور أيضًا مستمر، فقد جبلوا على الأخطاء التي لا ينفكون عنها، مما يجعلهم دائما في حاجة إلى تلك الألطاف.

**الخامسة:** خصَّ الله المؤمنين بالرحمة التي هي من آثار اسمه: الرحيم، لصدقهم في إقبالهم على الله - تعالى - وتكريم الله لهم ولطفه بهم. أما بقية الخلائق فتشملهم رحمة الله العامة التي تندرج تحت اسمه الرحمن، وتندرج تحت قوله: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ١٢].

**السادسة:** التنكير في قوله: ﴿ سَلامٌ ﴾ للتعظيم، فهو من رب العزة والجلال، وما أعظمه، وقد يكون من الملائكة وهو أيضًا عظيم كما قال - جل وعلا -: ﴿ والْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

**السابعة:** كلمة أجر إن جاءت بلا وصف، فإنها تشير إلى الأجر

---

(١) راجع مدارج السالكين ٣/٤٥١.

الحسي كما في قوله - تعالى - :﴿ .. إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص: ٢٥]. وإذا جاءت موصوفة، فإنها تشير إلى الأجر الأخروي وهو الجنة كما في هذه الآية.

**الأحكام الفقهية :**

**الحكم الأول: منْزلة الذكر :**

يبين ابن القيم - رحمه الله تعالى - منْزلة الذكر وأهميته، فيقول: هي منْزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، ولمنْزلة الذكر في الإسلام ذهب بعض العلماء إلى أن الأمر في قوله: ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾للوجوب وهو أشبه ما يكون بمنهج أهل الظاهر. وذهب الجمهور إلى أنه: واجب؛ وهو ما لا تصح العبادات والعقائد والأخلاق إلا به. ومندوب؛ وهو ما زاد على ذلك.

**الحكم الثاني: في درجات الذكر :**

وهو على ثلاث درجات:

**الدرجة الأولى:** الذكر الظاهر: ثناء، أو دعاء، أو رعاية، فأما الثناء فنحو: «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله**»، وذكر الدعاء نحو: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وإن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾[الأعراف: ٢٣]. وأما ذكر الرعاية فمثل قول الذاكر: «**الله معي، الله ناظر إلى، الله شاهدي**».

**والدرجة الثانية:** الذكر الخفي، وهو الخلاص من القيود، والبقاء مع الشهود، ولزوم المسامرة.

**والدرجة الثالثة:** الذكر الحقيقي، وهو شهود ذكر الحق إياك والتخلص من شهود ذكرك وقد سمي حقيقيًّا؛ لأنه منسوب إلى الرب - تعالى - فذكر الله لعبده هو: الذكر الحقيقي، وهو شهود الحق عبده [1].

**الحكم الثالث: في ثواب الذكر :**

وعد الله - سبحانه وتعالى - الذاكرين والذاكرات مغفرة الذنوب

---

(١) مدارج السالكين ٢/٤٥٢، ٤٥٣.

في الدنيا، والأجر العظيم في الآخرة وهو الجنة، ووعد الله لا يتخلف، إذ أن تخلف الوعد نقص، والنقص على الله - تعالى - محال. قال - جل وعلا- : ﴿ وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[الروم: ٦].

**المعنى العام :**

يأمر - تعالى - عباده المؤمنين بذكره ذكرًا كثيرًا، وأقل الذكر: أن يلازم الإنسان أوراد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب.

ومن هنا، يحض الإسلام كثيرًا على ذكر الله، ويربط القرآن بين هذا الذكر وبين الأحوال والأوقات التي يمر بها الإنسان؛ لتكون مذكرة ومنبهه إلى الاتصال بالله، كما قال - تعالى -: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ.. ﴾[النساء: ١٠٣]. وأكد - تبارك وتعالى- أن الذكر أشد من الصلاة نَهيًا عن الفحشاء والمنكر حين قال: ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[العنكبوت: ٤٥].

وهذا طبيعي إذا عمر القلب بذكر الله، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بتوقيت مواقيت لفرائضها الخمس، وشغلها لوقت اليقظة بفرض صلاة كل بضع ساعات.

والذكر ينهى عن الفحشاء والمنكر بشغله لوقت اليقظة كله دون انقطاع.

والمؤمن الحق بفضل الذكر يستشعر أنه مع الله دائمًا وأنه يراقبه في كل لحظة، فلا يجترئ على أن يرتكب المنكر، ولا يعصى الله في أي حال. ومن هنا قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إن الله - تعالى -لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في العذر، غير الذكر، فإن الله - تعالى - لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله.

من هنا، أمرهم الله به في الأحوال كلها، فقال - تعالى -: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ.. ﴾، وقال - جل وعلا -: ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا

كَثِيرًا ﴾ [١].

﴿ وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً ﴾ في أول النهار وآخره لفضلهما وشرفهما، كقوله ﷻ: ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم: ١٧].

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ومَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . . ﴾ .

## سبب النزول :

قال ابن عباس: لما نزل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ.. ﴾ . قال المهاجرون والأنصار: هذا لك يا رسول الله خاصة، وليس لنا فيه شيء، فأنزل الله :﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ومَلائِكَتُهُ... ﴾الآية. وهذه نعمة من الله - تعالى - على هذه الأمة من أكبر النعم، ودليل أفضليتها على سائر الأمم. وقد قال- تعالى-: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [٢] [آل عمران: ١١٠].

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - :

هذا النداء للجماعة قبل أن يكون للأفراد، فالأمة الإسلامية صاحبة رسالة عالمية يجب أن تنتصب حارسة لها ومدافعة عنها. وهذه الرسالة تقوم على الانتماء إلى الله، وإعلاء شعائره، واليقين بلقائه.

وهذه المعاني لا تعرف في أمة من الأمم، فالقاسم المشترك لأنشطتها جميعًا: رفع مستوى المعيشة، وتجميل هذه الحياة الدنيا.

أما الكلام عن الآخرة فلغو أو هزل.

وقد فشلت الأديان القديمة في تَعريف الناس بالله، والإعداد للقائه، وشملت الدنيا عبادة التراب.

وعندما ترفع أمتنا راية عبادة الله، وتكون أهلاً لقوله بعدئذ :﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ومَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ إن صلاة الله وملائكته إنما تكون للأمة، تذكر الله، وتذكر به، وتجعل ذلك وظيفتها [٣]. جميل أن تذكر الله، ولكن الأجمل: أن تُذكر

---

(١) جامع البيان ١٣/٢٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥٣٨٠ ط الشعب.

(٣) التفسير الموضوعي، محمد الغزالي ص٣٢٧.

بالله.

والصلاة من الله على عبده: رحمته له، وبركته لديه. وصلاة الملائكة: دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم، كما قال :﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[غافر: ٧].

﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: من الضلال إلى الهدى، وهذا معنى التثبيت على الهداية، ثم أخبر برحمته للمؤمنين تأنيسًا لهم:﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾. فهذه رحمته ونعمته عليهم في الدنيا، وأما رحمته بهم في الآخرة، فأجمل رحمة، وأفضل ثواب، وهو الفوز برضا ربّهم وتحيته، واستماع كلامه الجليل، ورؤية وجهه الجميل.

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ وحصول الأجر الكبير الذي لا يدريه ولا يعرف كنهه إلا من أعطاهم إياه.

وروى البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي، قد أخذت صبيًّا لها، فألصقته إلى صدرها وأرضعته، فقال رسول الله ﷺ : «**أترون هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر على ذلك؟**» قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: «**فوالله، لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[(١)].

**ويقول ابن القيم: جاء الذكر في القرآن على عشرة أوجه:**

**الأول:** الأمر به مطلقًا ومقيدًا، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[الأحزاب: ٤١-٤٢].

**الثاني:** النهي عن ضده من الغفلة والنسيان، كقوله - تعالى -: ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾[الأعراف: ٢٠٥].

**الثالث:** تعليقُ الفلاح باستدامته وكثرته؛ كقوله -تعالى-: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الجمعة: ١٠].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله، حديث (٥٩٩٩)، ومسلم، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمه الله تعالى، حديث (٢٧٥٤)، والطبراني في الأوسط (٢٣٢/٣)، حديث (٣٠١١).

**الرابع**: الثناء على أهله، والإخبار بما أعدَّ الله لهم من الجنة والمغفرة؛ لقوله - تعالى - :﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٣٥].

**الخامس**: الإخبارُ عَنْ خُسران من لَهَا عنه بغيره، كقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[المنافقون: ٩].

**السادس**: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له، كقوله - تعالى -: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ.. ﴾[البقرة: ١٥٢].

**السابع**: الإخبارُ أنه أكبر من كل شيء، كقوله - تعالى - :﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٥].

**الثامن**: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة، كما جعله مفتاحها، وذلك كما ختم به الحج في قوله - تعالى - :﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[البقرة: ٢٠٠]. وختم به الصلاة؛ كقوله - تعالى -: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ... ﴾[النساء: ١٠٣]، وختم به الجمعة، كقوله - تعالى - :﴿ إِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الجمعة: ١٠].

**التاسع**: الإخبار عن أهله بأنّهم هم أهل الانتفاع بآياته، وأنّهم أولو الألباب دون غيرهم، كقوله - تعالى - :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنهارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ... ﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

**العاشر**: أنه جعله قرين جميع الأعمال وروحها، فقد قرنه بالصلاة، كما قال - تعالى - :﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾[طه: ١٤]، وكذلك قرنه

بالصيام والحج وغيرهما [١].

**والأحاديث الواردة في الذكر كثيرة نذكر منها :**

١- عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم ؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تُهمة لكم، وما كان أحد بمنْزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «**ما أجلسكم ؟**» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومَنَّ به علينا. قال: «**آلله ما اجلسكم إلا ذاك؟**» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: «**أما إني لم أستحلفكم تُهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل، فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة**» [٢].

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يدعو: «**رب أعني ولا تُعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي** [٣] **ولا تمكر عليّ، واهدني ويسر الهدى إليّ، وانصرني على من بغى عليّ، اللهم اجعلني لك شاكرًا، لك ذاكرًا، لك ذاهبًا، لك مطواعًا، لك مخبتًا ، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلك سخيمة قلبي**» [٤].

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمرّ على جبل يقال له: جُمدان. فقال: «**سيروا، هذا جمدان سبق المفردون**» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرين الله كثيرا**

---

(١) مدارك السالكين ٢/٤٤١-٤٤٤.

(٢) رواه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث (٢٧٠١)، والترمذي، حديث (٣٣٧٩)، والنسائي، حديث (٥٤٢٦)، وأحمد في مسنده (٤/٩٢) .

(٣) أي: أوقع بلائك بأعدائك، وهو المعبر عنه بالخداع، وقيل: استدراج العبد بالطاعات، فيتوهم أنّها مقبولة وهي مردودة .

(٤) **صحيح:** رواه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل إذا سلم، حديث (١٥١٠)، والترمذي، حديث (٣٥٥١)، وابن ماجه، حديث (٣٨٣٠) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

والذاكرات»[1].

٤- وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لكل شيء جلاءً، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل.

٥- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الشيطان جاثم على قلب بن آدم، فإذا سها وغفل: وَسْوس، فإذا ذكر الله - تعالى - خنس.

قال ابن القيم رحمه الله: يثبت أن غاية الخلق والأمر: أن يُذكر وأن يُشكر، يُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يُكفر. وهو سبحانه ذاكرٌ لمن ذكرَه، شاكرٌ لمن شكره.

**ما ترشد إليه الآيات الكريمة :**

١- ينبغي للمؤمن أن يكون ذاكرًا لله على كل حال.

٢- كما ينبغي أن ينَزهه عن كل نقص لا يليق به - تعالى -، ويصفه بكل كمال.

٣- أنه رحيم بعباده المؤمنين حيث أرشدهم ووفقهم لطاعته.

٤- وعد الله - تعالى - بعظيم الثواب لمن أطاعه.

٥- أن مَن أعرض عن الإيمان وطاعة الرحمن، فلا يلومن إلا نفسه.

* * *

(١) رواه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: الحث على ذكر الله تعالى، حديث (٢٦٧٦)، وأحمد في مسنده (٢/٤١١)، وحديث (٩٣٢١).

obeikandl.com

# النداء الثالث
# حكم المطلقات قبل الدخول

يقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٩].

**صلة الآية بما قبلها:**

لما نهى الله نبيه ﷺ، ونهى المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين في سائر أعمالهم فقال: ﴿ولا تُطِعِ الكَافِرِينَ والْمُنَافِقِينَ ودَعْ أَذَاهُمْ وتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وكَفَى بِاللَّهِ وكِيلاً﴾[الأحزاب: ٤٨]. أمر المؤمنين أن يلتزموا منهج الإسلام في الأنكحة وما يترتب عليها، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ..﴾

وقيل: كان الحديث في الآيات السابقة عن نساء النبي ﷺ وما ينبغي أن يكن عليه من طاعة لله ولرسوله، وزهد في الدنيا، وطهارة وكمال؛ لأنهن لسن كبقية النساء، والله - تبارك وتعالى - يريد لهن أن يحافظن على ذلك الشرف الرفيع؛ وهو انتسابهن إلى رسول الله ﷺ، حيث أصبحن أمهات للمؤمنين، وزوجات الرسول ﷺ الطاهرات.

وأعقب ذلك قصة (زيد بن حارثة)، وتطليقه زينب، وكانت مدخولاً بها، وخطبها النبي ﷺ بعد انقضاء عدتها، وقد كان ذلك بأمر من الله - سبحانه وتعالى -؛ وذلك لحكمة جليلة؛ وهي إبطال التبني [١].

ثم جاء الخطاب - هنا- للمؤمنين بحكم الزوجة تطلق قبل البناء، وما يجب على المؤمنين أن يفعلوه، وما هي الأحكام الشرعية التي ينبغي عليهم أن يتمسكوا بها في مثل هذه الأحوال [٢].

**معاني المفردات والتراكيب:**

﴿نَكَحْتُمُ﴾: يطلق النكاح تارة، ويراد به العقد، ويراد به الوطء تارة

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٠٢.

(٢) في ظلال القرآن ٥/٢٨٧٤.

أخرى. والمراد به هنا: العقد، باتفاق العلماء، بدليل قوله - تعالى -: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ وأصل النكاح في اللغة: الضم والجمع. قال الشاعر:

ضممت إلى صدري مِعْطر صَدْرها كما نكحت أم الغلام صبيَّها [1]

وقال القرطبي: النكاح حقيقة في الوطء، وتسمية العقد نكاحًا؛ لملابسته له، من حيث أنه طريق إليه. ونظيره: تسمية الخمر إثمًا؛ لأنها سبب في اقتراف الإثم، ولم يرد لفظ النكاح في القرآن إلا في معنى العقد؛ لأنه في معنى الوطء. ومن آداب القرآن: الكناية عنه بلفظ: **(الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان)** [2].

﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾: فيه إشارة إلى أنه ينبغي أن يقع اختيار الأزواج على المؤمنات، وليس لفظ الإيمان في قوله: ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ للقيد أو الشرط، بل هو لمراعاة الغالب من حال المؤمنين أنّهم لا يتزوجون إلا بمؤمنات، وهذا مما اتفق عليه الفقهاء، ولو كان للقيد أو الشرط لكان حكم **(الكتابيات)** مختلفًا عن حكم المؤمنات مع أن الحكم واحد.

قال الآلوسي: وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات: للتنبيه على أن المؤمن من شأنه أن يتخير لنطفته، ولا ينكح إلا مؤمنة، وحاصله: أنه لبيان الأحرى والأليق [3].

﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾: المراد بالمس هنا: **(الجماع)** بإجماع الفقهاء، وقد اشتهرت الكناية به، وبلفظ الملامسة والمماسة ونحوهما في لسان الشرع عن الجماع، وهو كما أسلفنا من آداب القرآن؛ لأن القرآن العظيم يتحاشى ذكر الألفاظ الفاحشة، فيكني، مثل قوله - تعالى -: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ [النساء:٤٣]. وقوله - تعالى -: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة:٣]. وهكذا كنى عن الجماع باللمس أو المماسة، ولو كان المراد في الآية حقيقة المس باليد، وهي إلصاق اليد بالجسم للزمت العدة فيما لو طلقها بعد أن مسها بيده - من غير جماع ولا خلوة، ولم

---

(١) لسان العرب مادة **(نكح)**.

(٢) راجع الجامع لأحكام القرآن ٢٠٣/١٤.

(٣) روح المعاني ٤٥/٢٢.

يقل بذلك فقيه واحد.

﴿عِدَّةٍ﴾: العدة في اللغة مأخوذة من العد؛ لأن المرأة تعد الأيام التي تجلسها بعد طلاق زوجها لها أو وفاته، وهي شرعًا: المدة التي تتربص فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها، أو للتعبد، أو للتفجع على زوج مات.

﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ أي: تعدونها عليهم، أو تستوفون عددها عليهن، يقال: عد الدراهم فاعتدها؛ أي: استوفى عددها. ومثله قولك: كلته فاكتلته، ووزنته فاتزنته.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أي أعطوهن المتعة. والمتعة في الأصل: ما يتمتع به من مال أو ثياب، وقد حددها بعض الفقهاء بأنها: **(قميص وخمار وملحفة)**.

**والصحيح أن المتعة:** لا تختص بالكسوة، بل هي في الشرع كل ما يعطيه الزوج لمطلقته إرضاءً لها، وتخفيفًا من شدة وقع الطلاق عليها.

﴿وسَرِّحُوهُنَّ﴾: أي: طلقوهن. قال القرطبي: التسريح إرسال الشيء، ومنه: تسريح الشعر ليخلص البعض من البعض. وسرح الماشية: أرسلها[1].

وقال الآلوسي: أصل التسريح: أن ترعى الإبل السَّرْح، وهو شجر له ثمرة، ثم جُعل لكل إرسال في الرعي، ثم لكل إرسال وإخراج. والمراد هنا: تركهن وعدم حبسهم في منْزل الزوجية[2].

﴿سَرَاحًا جَمِيلاً﴾: أي: طلاقًا بالمعروف، فهو مثل قوله - تعالى -: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[الطلاق:٢]. ولقوله: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[البقرة: ٢٢٩]. والسراح الجميل: يكون بالتلطف مع المطلقة بالقول وترك أذاها، وعدم حرمانها مما وجب لها من حقوق، والإحسان إليها.

## من لطائف القرآن الكريم:

**الأولى:** التعبير بـ﴿إِذَا﴾ الشرطية في قوله: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ...﴾ للإشارة إلى كثرة التحقيق، امتثالاً للحديث النبوي: «**فاظفر بذات الدين تربت**

---

(١) راجع زاد المسير، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٢/١٤.

(٢) روح المعاني.

يداك»[١]. وأن من القليل النادر أن يقدم المؤمن على الزواج من غير المؤمنة لضرورة شرعية، كقوله - تعالى - :﴿ .. إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾[الأنعام: ١١٩].

**الثانية:** التعبير (بثم) في قوله - تعالى - :﴿ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾ فيه إشارة إلى أن المؤمن من شأنه أن يتريث ولا يتعجل، وأن يُعمل عقله قبل الإقدام على أمر من الأمور سيما موضوع الطلاق، الذي شرعه الإسلام لدفع ما هو أضر وأخطر على الزوجين وعلى غيرهما[٢].

**الثالثة:** نَهج الإسلام منهجًا ذا أدب جم وخلق رفيع، فقد عبر عن الأمور المستهجنة التي يستحي المرء من التصريح بها بكلمات يجمل بالمؤمن استعمالها، فعبر عن الجماع والخلوة الشرعية بقوله :﴿ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ.. ﴾.

وما أجمل أدب الرسول ﷺ إذ قال للمرأة المطلقة المبتوتة التي جاءت تستأذنه في العودة إلى زوجها الأول: «**أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك**»[٣].

**الرابعة:** في قوله - تعالى - :﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ ﴾ إسناد العدة إلى الرجال، وفي ذلك إشارة إلى أنها حق للمطلق، فوجب العدة على المرآة من أجل الحفاظ على نسب الإنسان، فإن الرجل يغار على ولده، ويهمه ألا يُسقى زرعه بماء غيره.

**والمشهور:** أن العدة ليست حقًا خالصًا للعبد، بل من حق الشرع كذلك، فإن منع الفساد باختلاط الأنساب من حق الشارع أيضًا. وهو الصحيح، ولهذا قال الفقهاء: العدة تجب لحكم عديدة: **(براءة الرحم، وللتعبد، أو التفجع..إلخ)**.

---

(١) رواه البخاري، كتاب: النكاح، باب: الأكفاء في الدين، حديث (٥٠٩٠)، ومسلم، كتاب: الرضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدين، حديث (١٤٦٦)، وأبو داود، حديث (٢٠٤٧).

(٢) روائع البيان ٢/٢٨٨.

(٣) رواه البخاري، كتاب: الطلاق، باب: من أجاز طلاق الثلاث، حديث (٥٢٦٠)، ومسلم، كتاب: النكاح، باب: لا تحل المطلقة ثلاثا لمطلقها حتى تنكح غيره، حديث (١٤٣٣)، والترمذي، حديث (١١١٨). وانظر: نصب الراية ٣/٢٣٧.

**الخامسة:** يؤخذ من قوله - تعالى - :﴿ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ بصيغة المضارع: أن العدة تُستأنف بعد الطلاق... وأن مَن خرجت من بيت الزوجية أو غاب عنها زوجها زمانًا ثم طُلقت، لا تُحسب هذه المدة عدة، كما يتوهم الكثيرون؛ لأن الحكمة من العدة ليست براءة الرحم فقط، كما سبق.

**الأحكام الفقهية :**

**الحكم الأول: في وقوع الطلاق قبل النكاح (قبل العقد) :**

مما أجمع عليه الفقهاء: أن الطلاق لا يقع قبل النكاح، استدلوا بقوله - تعالى - :﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾ فقد رتب الطلاق على النكاح، وعطفه بـ (ثُم) التي تفيد الترتيب والتراخي، واستدلوا أيضًا بقوله ﷺ : «**لا طلاق قبل النكاح**»[1].

أما مَن علق الطلاق فقال: كل امرأة أتزوجها فهي طالق. فللعلماء في ذلك قولان :

أ- فذهب أبو حنيفة ومالك: إلى القول بوقوع الطلاق بعد عقد النكاح، وهو مروي عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ب- وذهب الشافعي وأحمد: إلى عدم وقوع الطلاق، وهو مروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

**أدلة المالكية والأحناف :**

واستدل المالكية والأحناف بأن الطلاق يعتمد الملك أو الإضافة إلى الملك، لكنه في حالة الإضافة إلى الملك، يبقى معلقًا حتى يُحصل شروطه، فإذا قال للأجنبية: (**إن تزوجتك فانت طالق**) كان هذا تعليقًا صحيحًا، ولا يقع الطلاق به الآن، إنما يقع بعد أن يتزوجها فهو مثل قوله: إن دخلت الدار فأنت طالق. فإن الطلاق لا يقع إلا بعد الدخول، فكذلك هنا لا يقع الطلاق إلا بعد أن يعقد عليها عقد الزواج، فيكون الطلاق واقعًا في الملك، فكأنه أوقعه عليها حينذاك. وقالوا: الفرق

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن على وجابر ومعاذ - رضي الله عنهم- ٢٠٨/٥، مجمع الزوائد ١٨٧/٤، إرواء الغليل ١٥١/٧.

واضح بين تنجيز الطلاق على الأجنبية، وبين تعليق طلاقها على النكاح، فإن قول الرجل لامرأة أجنبية: (أنت طالق). كلام لغو؛ لأنها ليست زوجته وقد طلق ما لم يملك، فهو طلاق قبل النكاح لا يقع أصلاً. أما قوله: إن تزوجت فلانة فهي طالق. فهو معلق على الملك، والفرق واضح بين الحالتين. وهذا القول ذهب إليه جمع كبير من العلماء منهم: ابن مسعود رضي الله عنه، ودليله قوي، وهو الأحوط، كما نبه عليه ابن العربي والجصاص.

**أدلة الشافعية والحنابلة :**

١- واستدل الإمامان: الشافعي وأحمد - رحم الله سلف هذه الأمة - على أن التعليق مثل التنجيز، يقع به الطلاق قبل النكاح. وإذا طلق الإنسان امرأة لا يملكها، لا يقع الطلاق؛ لأن الطلاق لا بد أن يعتمد على الملك، وهو يشبه ما لو قال لأجنبية لا يملكها: أنت طالق. فإنه لا يقع باتفاق، فكذلك المعلق من الطلاق لا يقع به طلاق.

٢- واستدلوا بحديث: «**لا نذر لابن آدم فيما لا يملك، ولا عتق له فيما لا يملك ولا طلاق له فيما لا يملك**»[١].

وذهب إلى هذا الرأي جمهور الصحابة والتابعين، وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روي أنه سئل عن ذلك (**أي الطلاق المعلق**)، فقال: هو ليس بشيء. فقيل له: إن ابن مسعود رضي الله عنه يخالفك، فيقول: إذا طلق ما لم ينكح فهو جائز. فقال: رحم الله أبا عبد الرحمن، لو كان كما قال؛ لقال الله - تعالى -: «**يا أيها الذين آمنوا إذا طلقتم المؤمنات ثم نكحتموهن**». ولكن: إنما قال: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾[٢].

**ومجمل القول:** فإن الطلاق بعد النكاح يقع باتفاق الفقهاء، والطلاق المنجز قبل النكاح لا يقع باتفاق، والطلاق المعلق على النكاح:

---

(١) **حسن صحيح:** رواه الترمذي، كتاب: الطلاق، ما جاء في لا طلاق قبل النكاح، حديث (١١٨١)، وأبو داود بنحوه، حديث (٢١٩٠)، وأحمد في مسنده (١٩٠/٢)، حديث (٤٦١٢٤). وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) تفسير آيات الأحكام للشيخ السايس ١٦/٤.

لا يقع عند الشافعية والحنابلة، ويقع عند المالكية والأحناف، وهو الأحوط، وسدًّا للفتنة في هذا الأمر الخطير.

ويمكن الانتفاع بثمرة الخلاف، فيقال: إذا كان المطلق طلاقًا معلقًا مستهترًا ولا يراعي للإسلام حرمة فإن طلاقه واقع، وإن كان غير ذلك فلا يقع طلاقه.

**الحكم الثاني: ما يترتب على الخلوة الصحيحة :**

ظاهر الآية الكريمة، وهي قوله - تعالى - :﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ..﴾ الذي هو كناية عن الجماع: أن الخلوة ولو كانت صحيحة [١] لا توجب ما يوجبه الجماع من العدة والمهر، وهو مذهب الإمام الشافعي رحمه الله - تعالى -.

**ودليله:** أن الله - تعالى - نفى وجوب العدة إذا طُلقت قبل الجماع، والخلوة ليست جماعًا، فلا يجب بها العدة ولا المهر.

وذهب الجمهور من المالكية والحنفية والحنابلة: إلى أن الخلوة كالجماع توجب المهر كاملاً، وتوجب العدة واستدلوا بأدلة منها ما يلي:

١- ما رواه الدارقطني عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «**من كشف خمار امرأة ونظر إليها وجب الصداق دخل أم لم يدخل**» [٢].

٢- وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «**إذا أغلق بابًا وأرخى سترًا ورأى عورة، فقد وجب الصداق وعليها العدة ولها الميراث**».

٣- وروي عن زرارة بن أبي أوفى: قضى الخلفاء الراشدون المهديون أنه إذا أرخى الستور، وأغلق الباب، فلها الصداق كاملاً، وعليها العدة دخل بها أو لم يدخل.

وإذا وازنّا بين الأدلة وجدنا: أن أدلة الجمهور أقوى، وحجتهم أظهر، فمن المحتمل أن يبقى الرجل مع زوجته مدة طويلة تصل إلى السنة بل تزيد ويبيت معها في فراش واحد، ولكنه لم يجامعها طيلة هذه المدة،

---

(١) أما الخلوة غير الصحيحة فهي التي تتم على غير عقد شرعي.

(٢) **ضعيف:** رواه البيهقي في الكبرى (٢٥٦/٧)، حديث (١١٢٤٩٥)، والدارقطني في سننه (٣٠٧/٣) وضعفه الألباني في الضعيفة (١٠١٩).

فلا بد أن يوجب عليه الدين أو القضاء المهر كاملاً، ونلزمها بالعدة، وذلك اعتبارًا بالخلوة الصحيحة، ودفعًا للنّزاع والخلاف.

وللعلماء في إيجاب العدة اتجاهان: فمنهم من يرى أن وجوبَها ديانة وقضاءً، ومنهم مَن يرى أن وجوبَها قضاء لا ديانة؛ لأن القاضي إنما يحكم بالظاهر. والاتجاه الأول: أصح [1].

**الحكم الثالث:** فيمن طُلقت طلاقًا رجعيًّا، ثم طلقها بعد المراجعة وقبل المساس: وللعلماء في هذه المسألة النادرة أقوال :

أ- مذهب مالك وأبى حنيفة: عليها أن تستأنف عدة جديدة.

ب- مذهب الشافعي: تبني على عدة الطلاق الأول، وليس عليها أن تستأنف عدة جديدة.

ج- مذهب الظاهرية: أنه لا عدة عليها جديدة، والعدة الأولى قد بطلت بالطلاق الثاني، فلا يجب عليها أن تكمل العدة الأولى.

**دليل المالكية والحنفية :**

قالوا: إن عليها أن تستأنف عدة جديدة؛ لأن الطلاق الثاني وإن كان لم يفصل بينه وبين الرجعة مس ولا خلوة، لكنه لا يصدق عليه أنه قد حصل قبل الدخول على الإطلاق، فالمرأة إذا كانت مدخولاً بها من قبل، فيجب عليها أن تستأنف عدة كاملة لأنها في حكم الموطوءة.

قال القرطبي- نقلاً عن الإمام مالك-: أنها تنشئ عدة جديدة مستقبلة، وقد ظلم زوجها نفسه وأخطأ إن كان ارتجعها ولا حاجة له بها. وعلى هذا أكثر أهل العلم؛ لأنها في حكم الزوجات المدخول بهن في النفقة والكسوة وغير ذلك. وهو قول جمهور فقهاء البصرة، والكوفة، ومكة، والمدينة، والشام.

**دليل الشافعي :**

استدل الشافعي- رحمه الله- بأن المطلقة تبني على عدتِها الأولى،

---

(١) تفسير آيات الأحكام للسايس ١٨/٤.

وليس عليها أن تستأنف عدة جديدة، بأن الطلاق الثاني لا عدة له؛ لأنه طلاق قبل المساس، ولكن لا ينبغي أن يبطل ما وجب بالطلاق الأول: فإنه طلاق بعد دخول، يجب أن تراعي فيه حكمة الشارع في إيجاب العدة، فطلاقه لها قبل أن يمسها في حكم من طلقها في عدتِها قبل أن يراجعها. ومن طلق امرأته في كل طهر مرة: بنت ولم تستأنف.

**دليل الظاهرية :**

استدل داود الظاهري ومَن قال بقوله: أن المطلقة الرجعية إذا راجعها زوجها- قبل أن تنقضي عدتِها- ثم فارقها قبل أن يمسها: أنه ليس عليها أن تتم عدتِها، ولا عدة مستقبلة؛ لأنها مطلقة قبل الدخول بها أخذًا بظاهر الآية، وهو ظاهر الضعف.

والأرجح رأي الشافعي رحمه الله تمشيًا مع تيسير الإسلام ورحمته، وحتى لا يتخذ أهل الهوى هذا الأمر ذريعة، فيعضلون أزواجهم، فتصل عدتِها إذا تكرر هذا الفعل إلى ما يقرب من سنة كاملة.

**الحكم الرابع: هل تجب المتعة لكل مطلقة؟**

ظاهر قوله - تعالى - :﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ إيجاب المتعة للمطلقة قبل الدخول، سواء فرض لها مهر أو لم يُفرض لها مهر. ويقوي هذا الظاهر قوله - تعالى-: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢٤١]. فقد أوجبت المتعة لكل مطلقة. وللعلماء في هذه المسألة أقوال :

١- أنها واجبة لكل مطلقة، فُرض لها مهر أم لم يُفرض لها مهر، عملاً بظاهر الآية، وهو مذهب الحسن البصري.

٢- إن المتعة واجبة للمطلقة قبل الدخول التي لم يُفرض لها مهر، وهو مذهب الشافعية والحنفية، وبهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما. وأما التي فُرض لها مهر فالمتعة لها مستحبة.

٣- إن المتعة مستحبة للجميع، وليست واجبة لأحد من النساء، وهو مذهب المالكية.

وسبب الخلاف بين الفقهاء في وجوب المتعة أو استحبابها: هو أنه قد

ورد في القرآن الكريم آيات ظاهرها التعارض، فمنها ما يوجب المتعة على الإطلاق، ومنها ما يوجب المتعة عند عدم ذكر المهر المفروض لها، ومنها ما لم ينص على المتعة أصلاً، فلهذا وقع الخلاف بين الفقهاء.

والآيات الكريمة هي: قوله - تعالى- :﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٤٩].

وقوله - سبحانه - :﴿ ومَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى المُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. وقوله - جل وعلا - :﴿ وإن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ... ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

فالآية الأولى: مُطْلَقَة. والثانية: مُقَيَّدة بقيدين: عدم المسِّ، وعدم الفرض.. وأول الآية هو قوله - تبارك وتعالى - :﴿ لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ومَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ.. ﴾ . والثالثة: أوجبت نصف المهر فقط، ولم تذكر المتعة.. فمن الفقهاء من جعل آية البقرة مخصصة لآية الأحزاب ويكون المعنى: **(فمتعوهن إن لم يكن مفروضًا لهن المهر في النكاح)**. وبهذا التفسير قال ابن عباس، ويؤيده: أن المتعة إنما وجبت دفعًا لإيحاش الزوج لها بالطلاق، فإذا وجب للمطلقة قبل الدخول نصف المهر، كان ذلك جابرًا للوحشة، فلا تجب لها المتعة.

**وأقوى الأدلة:** أدلة الشافعية والحنفية، وهو مذهب ابن عباس - رضي الله عنهما - وفيه جمع بين الأدلة ن والله أعلم [1].

**المعنى الإجمالي :**

يخاطب الله - تعالى - عباده المؤمنين: يا أيها الذين آمنوا إذا عقدتم عقد الزواج على المؤمنات وتزوجتموهن، ثم طلقتموهن من قبل أن تقربوهن فليس لكم عليهن حق في العدة، تستوفون عددها عليهن؛ لأنكم طلقتموهن قبل المساس، وهذا لا يستلزم احتباس المرأة وجلوسها في العدة من أجل صيانة نسبكم؛ لأنكم لم تعاشروهن فليس هناك احتمال للحمل.

---

(١) تفسير آيات الأحكام للسايس ٤/٢٠، ٢١.

وقد شرع الله لكم أن تمتعوهن بدفع ما تطيب به نفوسكم من مال وتكرموهن به تطيبًا لخاطرهن، وتخفيفًا من شدة وقع الطلاق عليهن، وأن تفارقوهن بالمعروف، فلا تؤذوهن بقول أو عمل، ولا تحرموهن مما وجب لهن عليكم من حقوق، فإن ذلك من مقتضى إيمانكم وطاعتكم الله عز وجل[(١)].

## حكمة التشريع :

شرع الله - تعالى - الزواج لبقاء النوع الإنساني، وعزز روابطه وأركانه، وأحاط الأسرة بسياج من العفاف والتكريم والتقدير، وأقام الحياة بين الزوجين على أساس من التفاهم والتعاون، والمحبة والمودة.. قال - تعالى - :﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الروم:٢١].

وقد أباح الإسلام الطلاق عند الضرورة الشرعية، وذلك ليخلص الإنسان من شقاء محتم، وينقذه من مشكلة قد تحرمه السعادة، أو تفتح باب الفتن التي تؤرق على الكثيرين حياتهم فتصبح جحيمًا لا يطاق. والأصل في الطلاق: الحظر؛ لذا كان أبغض الحلال عند الله - تعالى -؛ لأن فيه خراب البيوت، وضياع الأسر، وتشريد الأولاد غالبًا، لكنه يصبح الحل الناجح عند اللزوم فلا بد أن تكون الأسباب فيه مقبولة شرعًا، والدوافع قاهرة، وألا يكون للطلاق بديلاً من الحلول التي جاء بها الشرع الحنيف (**كالعظة، والهجر في المضاجع، والضرب غير المبرح، وبعث الحكمين**). وقد قيل في الحكم: (**آخر الدواء الكي**).

وقد أرشد الإسلام إلى الاستعمال الحكيم لهذا العلاج، بألا يقدم عليه أحد المسلمين إلا بعد دراسة وتدبر وتفكير، فيكون على بينة وبصيرة. فالطلاق: لم يشرع إلا ليحقق الطمأنينة والسعادة للإنسان، ويدفع عنه مرارة العيش وقسوة الحياة، وإذا لم يستعمله المرء استعمالاً شرعيًّا حسنًا، انقلب الخير شرًّا، والمودة ضغائن وفتنًا ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن

---

(١) روائع البيان ٢/٢٨٦، ٢٨٧.

مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى: ٣٠].

فهو كما يقولون: سلاح ذو حدين: إما أن يستعمل في جلب الشقاء، أو يستعمله في دفع الشقاء.

وقد حكم البر الرحيم - جل وعلا - بأن من طلق زوجته قبل المسيس، فليس له عليها حق أن يمنعها من الزواج؛ لأنه لا عدة له عليها، والعدة إنما تحب لمعرفة براءة الرحم، وصيانة لحق الزوج، لئلا يختلط نسبه بنسب غيره أو يسقي زرعه بماء غيره.. ولما كان هذا الطلاق قبل المعاشرة والاتصال الزوجي، إذًا فلا عدة ولا سبيل له عليها، فيجب أن يحسن معاملتها ويخلي سبيلها ولا يجمع لها بين الإساءتين: إساءة العشرة بسبب الفراق، وإساءة المعاملة بمنعها من الزواج ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴾. وبذلك صان المولى جل وعلا كرامة المرأة، ودفع عنها عدوان الزوج وطغيانه، وحفظ لكل حقه: فلم يظلم المرأة، ولم يفرط في حق الرجل، وفسح المجال لكل من الزوجين في الحياة السعيدة الكريمة.

فما أسمى تعاليم الإسلام !! وما أعدل نظمه وأحكامه!![1]

**ما ترشد إليه الآيات الكريمة :**

١- على الإنسان أن يختار في الزواج الزوج المؤمن الطاهر.

٢- الأصل في الطلاق الحظر، ولا يجوز إلا في حالات الضرورة الشرعية.

٣- لا تجب العدة بالإجماع إذا طلقت المرأة قبل الدخول بها.

٤- مشروعية المتعة بعد الطلاق جبرًا لخاطر المطلقة، وإصلاحًا لذات البين.

٥- تسريح المطلقة بالمعروف والإحسان، وحرمة إيذائها بالقول أو الفعل أو بهما معًا.

* * *

(١) روائع البيان ٢/٢٩٦، ٢٩٧.

# النداء الرابع
# من آداب الوليمة والحجاب

يقول الله - تعالى - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣-٥٤].

## صلة النص بما قبله :

بعد أن أحل الله ﷻ لنبيه ﷺ ما شاء أن يتزوج من النساء فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ.. ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وهنا نهى الحق ﷻ المؤمنين عن دخول بيوت النبي ﷺ إلا بعد الإذن لهم مع مراعاة حرمة هذه البيوت الطاهرة.

## سبب النزول :

تعرضت الآية الكريمة لأمرين هامين هما: **(آداب الدعوة)**، و**(مشروعية الحجاب)** ولكل منها سبب نزول...

أما الأول: فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله، فصنعت **(أم سُليم)** أُمي حَيْسًا فجعلته في تَوْر[1] وقالت: يا أنس، اذهب إلى رسول الله ﷺ فقل: بعثت به إليك أمي، وهي تقرئك السلام، وتقول لك: إن هذا منَّا قليل يا رسول الله!!

**قال:** فذهبت به إلى رسول الله ﷺ، وقلت له: إن أمي تقرئك

(١) إناء من نحاس أو حجارة، وقد يتوضأ منه: **(النهاية)**.

السلام، وتقول لك: إن هذا لك منَّا قليل يا رسول الله.

فقال: «**ضعه**». ثم قال: «**اذهب فادع لي فلانًا وفلانًا، ومَنْ لَقيت**». وسمَّى رجالاً، فدعوتُ مَن سمَّى ومَن لقيتُ».

قيل لأنس: عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة. قال أنس: فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أنس هات التَّوْر**»، قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة. فقال رسول الله ﷺ: «**ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه**». فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم. فقال لي: «**يا انس، ارفع**». فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت؟

وجلس منهم طوائف يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ وهو جالس، وزوجه مُوَلِّية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله ﷺ، فخرج فسلم على نسائه ثم رجع.

فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع، ظنوا أنّهم قد ثقلوا عليه، فابتدروا الباب وخرجوا كلهم. وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر، ودخل وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى خرج عليّ، وأنزل الله هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...﴾ فخرج رسول الله ﷺ فقرأها على الناس...»[1].

**ثانيًا**: وأما بالنسبة لمشروعية الحجاب، فقد كان سبب النُّزول ما روي في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين أن يحتجبن !! فنَزلت آية الحجاب ﴿.. وإذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ الآية. وهذه إحدى الموافقات التي نزل القرآن الكريم فيها موافقاً لرأي عمر رضي الله عنه.

وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: وافقت ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلي؟ فنَزل :﴿واتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ

---

(١) رواه مسلم، كتاب: النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش، حديث (١٤٢٨)، والترمذي، حديث (٣٢١٨)، والنسائي، حديث (٣٣٨٧). وانظر: جامع الأصول ٢/٣١١.

مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]، وفي الحجاب: فنَزلت آية الحجاب. واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن... فنَزلت كذلك [١].

## معاني المفردات والتراكيب :

﴿يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ أي: تُدْعَوا إلى تناول الطعام، والأصل أن يتعدى بـ (في) تقول: أذنت لك في الدخول، ولا تقول أذنت لك إلى الدخول، ولكن اللفظ لما ضمن معنى الدعوة عدى بـ (إلى) بدل (في). والمعنى: لا تدخلوا بيوت النبي إلا إذا دعيتم إلى تناول الطعام.

وقال الزمخشري :﴿إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في معنى الظرف، تقديره: وقت أنه يؤذن لكم.

﴿نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ أي: منتظرين نضجه، قال في اللسان: وإِنْي الشيء: بلوغه وإدراكه، وفي التنْزيل :﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ أي: غير منتظرين نضجه وإدراكه وبلوغه، تقول: أني يأني إذا نضج. إنى؛ أي: نضجًا. والإني: بكسر الهمزة والقصر: النّضج [٢]. فهو على هذا مصدر مضاف إلى الضمير.

وقيل: إنه بمعنى: (حين) وهو مقلوب: (آن) بمعنى: (حان). فعلى المعنى الأول يكون التقدير: (غير منتظرين نضجه)، وعلى الثاني يكون المعنى: (غير منتظرين وقته) أي: وقت إدراكه ونضجه، وهما متقاربان [٣].

﴿فَانتَشِرُوا﴾ أي: اخرجوا وتفرقوا، ومنه قوله - تعالى - :﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[الجمعة: ١٠]. أي تفرقوا في الأرض لطلب الرزق والكسب.

﴿ولا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: الاستئناس: طلب الأنس بالحديث، فالسين

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في القبلة، حديث (٤٠٢)، وأحمد في مسنده (٢٤/١)، حديث (٣٩٤٨٦)، وابن حبان في صحيحه (٣١٩/١٥)، حديث (٧٤٠٣٨) . وانظر: جامع الأصول ٦٢٢/٨.

(٢) لسان العرب مادة (أنى).

(٣) روح المعاني والبحر المحيط ٢٤٧/٧.

والتاء للطلب. تقول: استأنس بالحديث: أي طلب الأنس والطمأنينة والسرور به. وتقول: ما بالدار أنيس، أي ليس بها أحد يؤانسك أو يسليك. وقد كان من عادة الناس أنّهم يجلسون بعد الأكل فيتحدثون طويلاً، ويأنسون بحديث بعضهم بعضًا، فعلمهم الله الأدب، وهو أن يتفرقوا بعد تناول الطعام، ولا يثقلوا على أهل البيت؛ لأن المكث بعده فيه نوع من الإثقال.

﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ ﴾: اسم الإشارة راجع إلى الدخول بغير إذن، والمكث عقب الطعام للاستئناس بالحديث. وقيل: هو راجع إلى الأخير خاصة. والمعنى: أن انتظاركم يؤذي النبي.

﴿ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ﴾: أي: يستحيي من إخراجكم من بيته، والله لا يستحيي من بيان الحق.

﴿ مَتَاعًا ﴾: المتاع: الغرض والحاجة، كالماعون وغيره. وهو في اللغة: ما يستمتع به حسيًّا كان، كالثوب والقدْر والماعون، أو معنويًا، كمعرفة الأحكام الشرعية والسؤال عنها. وقد يأتي المتاع بمعنى التمتع بالشيء والانتفاع به، كما قال - تعالى - :﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الحديد: ٢٠]. وفي الحديث الشريف: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»[1].

﴿ حِجَابٍ ﴾: أي ساتر يستره عن النظر. يقال: حجب الشيء يحجبه؛ أي: ستره.

وقد احتجب وتحجب: إذا اكتن من وراء حجاب، وامرأة محجوبة: قد سترت بستر. والحجاب: اسم لما احتجبت به، وكل ما حال بين شيئين فهو حجاب. ومعنى الآية :إذا سألتموهن شيئًا مما يستمتع به وينتفع فاسألوهن من وراء ستر وحجاب.

﴿ أَطْهَرُ ﴾: أي: أسلم من الذنوب وأنقى. أفعل تفضيل من الطهارة بمعنى: النّزاهة والنقاء. والمعنى: سؤالكم للنساء من وراء حجاب أكثر

---

(١) جمع الفوائد ١/٥٧٠.

نقاءً وتنْزيهًا لقلوبكم وقلوبهن من الهواجس والخواطر التي تتولد فيها عند اختلاط الرجاء بالنساء، وأبعد عن الريبة وسوء الظن.

## من لطائف القرآن الكريم

**الأولى:** الإضافة في قوله -تعالى-: ﴿بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ للتشريف والتكريم مثل: **(بيت الله)**، **(ناقة الله)**، وبيوت النبي ﷺ لها من الحرمة ما ليس لغيرها من البيوت. والأحكام المذكورة هنا خاصة ببيوت الرسول ﷺ تشريفًا وتكريمًا له.

**الثانية:** قوله - تعالى - : ﴿إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ في الكلام باء محذوفة تسمى باء المصاحبة والتقدير: إلا بأن يؤذن لكم. وتضمين **(الإذن)** معنى **(الدعوة)** للإشعار بأنه لا ينبغي أن يدخلوا على الطعام بغير دعوة، وإن وجد صريح الإذن بالدخول، حتى لا يكون المؤمن **(طفيليًّا)** يحضر الوليمة بدون سابق دعوة [١].

ومما يشير إلى هذا التضمين قوله - تعالى - بعد ذلك :﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ فإنها صريحة في أن المراد بالإذن: **(الدعوة)**.

**الثالثة:** قوله - تعالى -: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾. قال الإمام الرازي: فيه لطيفة وهي: أن في العادة إذا قيل لمن كان يعتاد دخول دار من غير إذن: لا تدخلها إلا بإذن: يتأذى وينقطع بحيث لا يدخلها أصلاً ولا بالدعاء، فقال: لا تفعلوا مثل ما يفعله المستنكفون، بل كونوا طائعين سامعين، إذا قيل لكم: لا تدخلوا فلا تدخلوا، وإذا قيل لكم ادخلوا فادخلوا [٢].

**الرابعة:** قوله ﷻ :﴿وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ فيه إشارة لطيفة إلى أن المكث بعد الطعام غير مرغوب فيه على الإطلاق، فالأمر أمر وليمة وقد انتهت، ولم يبق إلا أن يفرغ أهل البيت لبعض شأنهم، والبقاء بعد ذلك فيه نوع من الإثقال غير محمود.

---

(١) إرشاد العقل السليم، روح المعاني.

(٢) التفسير الكبير ٦/٧٩٤.

قال بعض العلماء: هذه الآية نزلت في الثقلاء. وقرأها بعضهم، فقال: هذا أدب من الله - تعالى - أدب به الثقلاء.

ويروى عن عائشة وابن عباس - رضي الله عنهم -: «**حسبك في الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم**»[1].

وأنشد بعض الفضلاء:

وثقيل أشد من ثقل الموت ومن شدة العذاب الأليم
لو عصت ربها الجحيم لما كان سواه عقوبة للجحيم

وقال آخر:

رُبَّما يثقل الجليس ولو كان خفيفًا في كفة الميزان
ولقد قلت حين وتد في البيت ثقيل أربى على سهلان
كيف لم تحمل الأمانة أرضن حملت فوقها أبا سفيان[2]

**الخامسة:** قوله - تعالى -: ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ واللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾:

الاستحياء لا يكون من الذات وإنما يكون من الأفعال.. بدليل قوله- تعالى -: ﴿واللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾ولم يقل: والله لا يستحيي منكم، والكلام فيه حذف تقديره: فيستحيي من إخراجكم أو من أمركم بالانصراف، والله لا يستحيي من بيان الحق. وأطلق استحياء الله، وأراد منه: عدم السكوت عن بيانه، فسمي السكوت عليه استحياءً على (**طريق المشاكلة**)؛ لوقوعه بجانب استحياء الرسول ﷺ.

**السادسة:** قوله - تعالى -: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وقُلُوبِهِنَّ﴾ فيه إشارة دقيقة إلى ما بين العين والقلب من صلة وثيقة، فالعين طريق الهوى، والنظر بريد الشهوة، فإذا لم ترد العين لا يشتهي القلب، وكما قال بعض الأدباء:

وما الحب إلا نظرة إثر نظرة تزيد نموًّا إن تزده لجاحًا

---

(١) البحر المحيط ٢٤٧/٧.

(٢) **سهلان**: جبل عظيم اشتهر عند العرب، وأربى: أي: زاد، والمعنى زاد هذا الجليس الثقيل في ثقله على جبل سهلان، أعاذنا الله وإياكم من المعاصي.

فالقلب عند عدم الرؤية أطهر، وعدم الفتنة حينئذ أظهر.

**السابعة:** قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ الإشارة في قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعود إلى ما ذكر من إيذائه ﷺ، ونكاح أزواجه من بعده، وقد جاء التعبير بلفظ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، ولم يأت بلفظ (هذا) للتهويل والتعظيم.

قال القاضي أبو السعود: وما فيه من معنى البعد، للإيذان ببعد منْزلته في الشر والفساد، وقوله: ﴿كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ أي: أمرًا عظيمًا، وخطبًا هائلاً، لا يقادر قدره، وفيه من تعظيمه - تعالى - لشأن رسوله ﷺ، وإيجاب حرمته حيًّا وميتًا ما لا يخفى، وبذلك بالغ - تعالى - في الوعيد [1].

**الثامنة:** لما كان الناس مختلفين في الإخلاص وعدمه، وفي الامتثال الحقيقي والظاهري، أخبر جل شأنه أنه قد أحاط علمه بكل شيء، وأنه المجازي على ذلك فقال: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

## الأحكام الفقهية:

### الحكم الأول: هل يجوز تناول الطعام بدون دعوة؟

اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز دخول البيوت إلا بإذن، ولا يجوز تناول طعام الإنسان إلا بإذن صريح أو ضمني. لقوله ﷺ: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه**».

وقد دلت الآية الكريمة على حرمة دخول بيوت النبي ﷺ إلا بعد الإذن. وعلى حرمة (**التطفل**)، وهو أن يحضر إلى الوليمة بدون دعوة. وفاعله يسمى بـ (**الطفيلي**). والحكم عام في جميع البيوت، فلا يجوز لإنسان أن يدخل بيت أحد بدون إذنه، ولا أن يتناول الطعام دون رضا صاحبه. وهذا أدب رفيع من الآداب الاجتماعية التي أرشد إليها الإسلام.

قال ابن عباس: كان ناس يتحينون طعامه عليه الصلاة والسلام،

---

(١) تفسير أبي السعود على هامش التفسير الكبير ٧٩٨/٦.

فيدخلون عليه قبل الطعام، وينتظرون إلى أن يدرك [١]، ثم يأكلون ولا يخرجون، فكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنَزلت هذه الآية [٢].

وقال ابن كثير - رحمه الله -: حظر الله - تعالى - على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله بغير إذن، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه - تعالى - لهذه الأمة، ومعنى الآية: أي: لا ترقبوا الطعام إذا طبخ، حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه.. ثم قال: وهذا دليل على تحريم التطفل، وهو الذي تسميه العرب: **(الضيفن)** [٣].

**الحكم الثاني: هل الجلوس بعد تناول طعام الوليمة حرام؟**

دلّ ظاهر قوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ على ضرورة الخروج بعد تناول الطعام، وهذا من الآداب الإسلامية التي أدب الله بها المؤمنين. فالمكث والجلوس بعد تناول الطعام ليس بحرام، ولكنه مخالف لآداب الإسلام، لما فيه من الإثقال على أهل المنْزل، سيما إذا كانت الدار ليس فيها إلا بيت واحد.

اللهم إلا إذا كان الجلوس بإذن صاحب الدار أو أمره، أو كان جلوسًا يسيرًا تعارف عليه الناس، لا يصل إلى حد الإثقال المذموم.

ومع ذلك، فالأفضل الخروج، ولهذا جاء التعبير بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب **(فانتشروا)**.

**الحكم الثالث: لمن شرع الحجاب؟**

الآيات الكريمة وردت بشأن بيوت النبي ﷺ خاصة، تعظيمًا لرسول الله ﷺ وتكريمًا لشأنه، ولكن الأحكام التي فيها عامَّة تعم

---

(١) أي: ينضج الطعام.

(٢) البحر المحيط ٢٤٦/٧، زاد المسير ٤١٣/٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥١٣/٣.

جميع المؤمنين [١] لأنها آداب اجتماعية، وإرشادات إلهية، يستوي فيها جميع الناس، فالأمر بعدم الاختلاط بالنساء، وبسؤالهن من وراء حجاب، ليس قاصرًا على أزواج الرسول ﷺ، ولكنه عام يشمل جميع نساء المؤمنين، فإذا كان نساء الرسول ﷺ لا يجوز الاختلاط بهن، ولا النظر إليهن، مع أنّهن **(أمهات المؤمنين)** يحرم الزواج بهن، ولا يجوز سؤالهن، فلا شك أن الاختلاط بغيرهن من النساء، أو التحدث إليهن بدون حجاب، يكون حرامًا من باب أولى؛ لأن الفتنة بالنساء متحققة.

والأمر بالحجاب ليس خاصًّا بأزواج الرسول ﷺ بل هو عام لجميع نساء المؤمنين، بدليل قوله - تعالى - في آخر السورة :﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ...﴾[الأحزاب:٥٩]. فهل خرجت مؤمنة من هذا الخطاب؟ وهل أمر الحجاب خاص بنساء الرسول حتى يزعم بعض المضلين: أن الحجاب مفروض على نساء الرسول ﷺ خاصة دون سائر النساء؟![٢]

**الحكم الرابع: هل الطعام المقدم للضيف على وجه التمليك أم الإباحة؟**

أشارات الآية الكريمة وهي قوله - تعالى - :﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ إلى أن الطعام الذي يقدم للضيف لا يكون على وجه التمليك، وإنما هو على وجه الإباحة، فلو أراد الضيف أن يحمل معه الطعام إلى بيته لا يجوز له ذلك؛ لأن المضيف إنما أباح له الأكل فقط دون التملك له، أو أخذه، أو إعطائه لأحد.

قال القرطبي رحمه الله: في هذه الآية دليل على أن الضيف يأكل على ملك المضيف لا على ملك نفسه؛ لأنه - تعالى - قال :﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ فلم يجعل له أكثر من الأكل، ولا أضاف إليه سواه، وبقي الملك على أصله [٣].

---

(١) عملا بالقاعدة التي تقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٢) روائع البيان ٣٥٢/٢، تفسير آيات الأحكام ٥٣/٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٧/١٤.

**الحكم الخامس: هل زال النكاح عن أمهات المؤمنين بموت النبي ﷺ؟**

قال القرطبي: اختلف العلماء في أزواج النبي ﷺ بعد موته، هل بقين أزواجًا أم زال النكاح بالموت؟ وإذا زال النكاح بالموت، فهل عليهن عدة أم لا؟

فقيل: عليهن العدة؛ لأنه توفى عنهن، والعدة عبادة.

وقيل: لا عدة عليهن، لأنها مدة تربص، ينتظر بها الإباحة.

قال: والقول الثاني هو: الصحيح؛ لقوله عليه السلام: «**ما تركت بعد نفقة عيالي**» وروي (**اهلي**). وهذا اسم خاص بالزوجية، فأبقى عليهن النفقة والسكنى مدة حياتهم لكونهن نساءه، وحرمن على غيره، وهذا هو معنى بقاء النكاح. وإنما جعل الموت في حقه عليه الصلاة والسلام بمنْزلة المغيَّب في حق غيره، لكونهن أزوجًا له في الآخرة قطعًا، بخلاف سائر الناس؛ لأن الرجل لا يعلم كونه مع أهله في دار واحدة، فربما كان أحدهما في الجنة، والآخر في النار، فبهذا انقطع السبب في حق الخلق، وبقي في حق النبي ﷺ وقد قال ﷺ: «**كل سبب ونسب ينقطع، إلا سببي ونسبي فإنه باق إلى يوم القيامة**»[1].

فأما زوجاته عليه الصلاة والسلام اللاتي فارقهن في حياته مثل الكلبية وغيرها، فهل كان يحل لغيره نكاحهن؟ فيه خلاف.

**والصحيح:** جواز ذلك، لما روي أن الكلبية التي فارقها رسول الله ﷺ تزوجها عكرمة بن أبي جهل، وقيل: إن الذي تزوجها: الأشعث بن قيس الكندي.

قال القاضي أبو الطيب: الذي تزوجها: مهاجر بن أبي أمية، ولم ينكر ذلك أحد، فدل على أنه إجماع[2].

---

(١) **صحيح:** رواه البيهقي في الكبرى (٦٣/٧)، حديث (١١١٤٠١)، والطبراني في الكبير (٤٥/٣)، حديث (١٣٣١٩٧). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٢٧). وانظر: أحكام القرآن لابن العربي ١٥٨٠/٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٠/١٤.

**المعني الإجمالي :**

هذا النداء الرابع: لتنظيم الدخول في البيت النبوي، كما جاء في شرح آيات سورة النور الخاصة بالاستئذان.

وهذه الآداب لم تكن تعرفها الجاهلية في دخول البيوت، وربما كان هذا الحال أظهر في بيوت النبي ﷺ بعد أن أصبحت هذه البيوت مهبط العلم والحكمة.

إن سواد المؤمنين يحبون رسول الله ﷺ أكثر مما يحبون أنفسهم، وقد يحملهم ذلك على التكاثر عنده، ثم هناك مَن لديه فراغ يحار كيف يقضيه؟ ومَن يحبون التسلية أو مقاربة العظماء، وقد استدعى ذلك هذا الإرشاد الحكيم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ أي: تدعوا إلى تناول الطعام، وأيضًا قوله: ﴿ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ أي: منتظرين نضجه. والمعنى: أنكم لا تدخلون بيوت النبي ﷺ إلا بشرطين :

الإذن لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة. ولهذا قال : ﴿ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ﴾. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «**إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسًا كان أو غيره**»[1].

﴿ وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ أي: قبل الطعام أو بعده، وقد كان من عادة الناس: أنّهم يجلسون بعد الأكل فيتحدثون طويلاً، ويأنسون بحديث بعضهم بعضًا، فعلمهم الله الأدب، وهو: أن يتفرقوا بعد تناول الطعام، ولا يثقلوا على أهل البيت.

﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ ﴾ ثم بين حكمة النهي وفائدته فقال :﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﴾ أي: أن الدخول بغير إذن، والمكث بعد الطعام للاستئناس بالحديث.

---

(١) رواه مسلم، كتاب: النكاح، باب: الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، حديث (١٤٢٩)، وأبو داود، حديث (٣٧٣٨)، وأحمد في مسنده (١٤٦/٢)، حديث (٤٥٦٧٦) . وانظر: تفسير القرآن العظيم ٤٩٢/٥ .

﴿فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ أن يقول لكم: اخرجوا، كما هو جاري العادة، أن الناس، وخصوصًا أهل الكرم منهم، يستحيون أن يخرجوا الناس من بيوتهم.

﴿واللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾ والله لا يستحيي من بيان الحق، ويأمركم بما فيه الخير لكم، والرفق برسوله. فالأمر الشرعي ولو كان يتوهم أن في تركه أدبًا وحياءً فإن الجزم كل الجزم: إتباع الأمر الشرعي. وما أحوج المسلمين إلى هذه الآداب التي يجافيها الكثيرون.

ثم تقرر الآية الحجاب بين نساء النبي ﷺ والرجال :﴿وإذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ . المتاع: قال القرطبي رحمه الله: المتاع عام في جميع ما يمكن الانتفاع به من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا. وفي هذه الآية دليل على أن الله - تعالى - أذن في مسألتهن من وراء حجاب: في حاجة تعرض، أو مسألة يُستفتين فيها، ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى [1].

﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وقُلُوبِهِنَّ﴾ يريد: الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال، أي: ذلك أنفى للريبة، وأبعد للتهمة، وأقوى للحماية.

وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله، وأحصن لنفسه، وأتم لعصمته [2].

وذلك فيه إشارة إلى ما بين العين والقلب من صلة وثيقة، فالعين طريق الهوى، والنظر بريد الشهوة، فإذا لم ترى العين لا يشتهي القلب.

﴿ومَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ الآية. هذا تكرار للعلة وتأكيد لحكمها، وتأكيد العلل أقوى في الأحكام.

والمؤسف: أن من ذوى اللكاعة من رأى إحدى أمهات المؤمنين، فقال:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن .

(٢) المرجع السابق .

إذا مات محمد تزوجتها!!![1].

أفلا يحمى البيت الكريم من مسالك هؤلاء الرعاع؟

ولذلك شرع نظام الحجاب..﴿ وإذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ إن المرأة داخل بيتها تتخفف من ثيابها، ولا تتكلف زيًّا معينًا، فلا يجوز لأحد أن يقتحم عليها حصنها، ولا للأعين أن تسترق النظر إليها.

ولإيذاء الرسول ﷺ صور شتى، يألفها المنافقون ومرضى القلوب، ولعل أخطر هذه الصور: ما حدث عند حصار المدينة.

ومن هؤلاء متتبعو العورات في شوارع المدينة، ومبتغو الريبة في الناس.. وقد قال الله - تبارك وتعالى - لرسوله ﷺ في شأن هؤلاء :﴿ ولا تُطِعِ الكَافِرِينَ والْمُنَافِقِينَ ودَعْ أَذَاهُمْ وتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وكَفَى بِاللَّهِ وكِيلاً ﴾[الأحزاب: ٤٨].

وقال في الحكم عليهم :﴿ إنَّ الَذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٧) والَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[الأحزاب: ٥٧، ٥٨].

## حكمة التشريع :

حرَّم الله - تعالى - على المؤمنين دخول بيوت النبي ﷺ بدون إذن؛ تكريمًا لرسول الله ﷺ وتعظيمًا لشأنه. ومنع الناس من الإثقال على رسول الله ﷺ سواء بالدخول إلى بيوته دون سابق دعوة، أو المكث فيه بعد تناول طعام الوليمة؛ لأن في ذلك إثقالاً على الرسول الكريم وإيذاء له. والتطفل والإثقال على أهل الدار، ليس من صفات المؤمنين.

وقد كان رسول الله ﷺ شديد الحياء، وكان كما تقول أم المؤمنين عائشة: أشد حياء من العذراء في خدرها. ولم يكن من خلقه الكريم أن يجابه أحدًا بما يكره، مهما أصابه الأذى والضرر، ولا من عادته أن يأمر الزائر بالانصراف مهما طال المكث والبقاء؛ لأن هذا لا يتفق مع خلق الداعية، فكيف بخلق النبوة وأوصاف سيد المرسلين :

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٩/٣ ط. دار الفكر .

﴿ ولَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

وكان بعض الناس - ممن لم تتهذب أخلاقهم بعد - يتحينون طعام النبي ﷺ فيدخلون قبل أن ينضج الطعام، ويقعدون إلى أن ينضج، ثم يأكلون ولا يخرجون..

فكان الناس بحاجة إلى أن يتعلموا الآداب الرفيعة، وأن يكون عندهم **(ذوق اجتماعي)** وشعور رقيق، يمنعهم عن ارتكاب النقائص، وفعل ما يخل بالمروءة، لذلك أنزل الله - تعالى - هذه الآيات الكريمة تعليمًا للأمة وإرشادًا لها إلى سلوك الطريق القويم، وقد قال إسماعيل بن أبي حكيم: هذا أدب أدَّب الله به الثقلاء. وقال آخر: هذه الآية نزلت في الثقلاء، وحسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم.

ولقد كان هناك من بعض المنافقين إيذاء لرسول الله ﷺ بالفعل أو القول، حتى قال رجل من المنافقين حين تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بعد وفاة زوجها أبى سلمة: ما بال محمد يتزوج نساءنا!! والله لو مات لأجلنا السهام على نسائه، **(يريد اقتسامهن بالقرعة)** فنَزلت الآية في هذا.

فحرم الله نكاح أزواجه من بعده، وجعل لهن حكم الأمهات تطيبًا لخاطره الشريف، وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام تمييزًا لشرفه، وتنبيهًا على مرتبته، وما كان لمؤمن أن يؤذيه في نفسه أو أهله؛ لأنه عليه الصلاة والسلام أب للمؤمنين. وهل يليق بالإنسان أن يتزوج امرأة أبيه، وهي أمه بنص القرآن الكريم!![1]

وصدق الله القائل :﴿ ومَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ولا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾.

* * *

(١) قال الله تعالى :﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ.. ﴾[الأحزاب: ٥].

# فصل

## ما المقصود من اللباس عند الأمم والشعوب في عصرنا الراهن؟

## وما المقصود به في شريعة الإسلام؟

إن طبيعة التمدن عندهم: أن اللباس يستعمل لمجرد الزينة، أو الوقاية من عوارض الطبيعة وتقلباتها، ولم يكن أبدًا للستر أو حجب العورات.

ولكن الإسلام يهمه من اللباس: الستر دون الزينة، ومن هنا كانت أوامره للرجل والمرأة: أن يسترا من جسديهما كل الأجزاء التي فيها جاذبية للنصف الآخر.

والعُري في منهج الإسلام من الجاهلية الأولى التي تحول البشر إلى قطيع من الأغنام، أو هم أضل سبيلاً.

والإسلام لا يحب للزوجين أن يتجرد أحدهما أمام الآخر، فيقول الرسول ﷺ: «**إذا أتى أحدكم أهله فليستتر، ولا يتجردا تجرد العيرين**»[(١)].

وقالت عائشة - رضي الله عنها -: «**ما نظرت إلى عورة رسول الله ﷺ**»[(٢)].

والإسلام يمنع الفرد أن يتجرد من ملابسه وهو في خلوته «**لأن الله - سبحانه وتعالى - أحق أن يستحيا منه**»[(٣)]. وجاء في الحديث: «**إياكم والتعري،**

---

(١) **ضعيف:** رواه ابن ماجه، كتاب: النكاح، باب: التستر عند الجماع، حديث (١٩٢١)، والبيهقي في الكبرى (١٩٣/٧)، حديث (١٣٨٧٣). وفي الشعب (١٦٣/٦)، حديث (٧٧٩٢). وذكره الزيلعي في نصب الراية (٢٤٦/٤) وعزاه للنسائي في عشرة النساء، ثم قال: قال الشيخ: حديث منكر. وانظر علل ابن أبي حاتم (٤٢٦/١)، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٧٥/٤)، والإرواء للألباني (٢٠٠٩).

(٢) **ضعيف جدًا، إن لم يكن موضوعًا:** رواه الطبراني في الصغير (١٠٠/١)، حديث (١٣٨)، والأوسط (٣٤٩/٢)، حديث (٢١٩٧). **وفي إسناده:** بركة بن محمد يكذب، ويضع الحديث. وقال الحاكم عنه: يروي أحاديث موضوعة. وانظر لسان الميزان لابن حجر (٨/٢).

(٣) **حسن:** رواه أبو داود، كتاب: الحمام، باب: ما جاء في التعري، حديث (٤٠١٧)، والترمذي، حديث (٢٧٩٤)، وابن ماجه، حديث (١٩٢٠). وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

obeikandl.com

**فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط، وحين يفض الرجل إلى أهله، فاستحيوهم واكرموهم**»[١].

واللباس الذي يشف عن الجسم، ويفصح العورات، ليس بلباس في نظر الإسلام، كما جاء في الحديث: «**... ونساء كاسيات عاريات**»[٢].

والعري: عادة جاهلية قديمة، جاء الإسلام لإبطالها؛ لأن رجال الجاهلية كانوا لا يرون لزوم الاستتار عند الغسل وقضاء الحاجة، وكذلك النساء، وكانوا يطوفون بالكعبة عراة.

وهي حالة توجد بعينها في دول الغرب بل أصبحت عندنا في دول الإسلام التي أصبحت تسير في فلكها[٣].

فلما جاء الإسلام.. كان من نداءاته للبشرية كلها قوله - تعالى - : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦]. ففرض بهذه الآية ستر الجسم على كل رجل وامرأة، وشدد النبي ﷺ في النهي عن كشف العورة والنظر إليها فقال: «**ملعون من نظر إلى سوأة أخيه**»[٤]. وخرج ذات مرة إلى إبل الصدقات فرأى راعيها تجرد في الشمس فعزله، وقال: «**لا يعمل لنا من لا حياء له**»[٥].

وإذا كان ذلك كذلك؟ فلماذا الدعوة إلى العرى!!!؟

ومن المستفيد من انسلاخ المرأة من ملابسها وتعريتها في حيائها وعفتها ؟

إن المتتبع لحلقات التاريخ وأدواره، يرى أن الدعوة إلى كشف المرأة كانت في بدايتها يهودية!!!

---

(١) **ضعيف**: رواه الترمذي، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في الاستتار عند الجماع، حديث (٢٨٠٠) . وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي .

(٢) سبقت ترجمته وتخريجه.

(٣) الحجاب لأبي الأعلى المودودي .

(٤) أحكام القرآن للجصاص .

(٥) المبسوط ١٠/١٥٥.

وكان ذلك على وجه التحديد في مدينة رسول الله ﷺ المرأة التي قدمت «**بجلب**» [١] لها فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت. فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت كُشفت سوأتُها فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله... وقد سبق ذكر القصة في تفسير النداء الأول من هذه السورة [٢].

واستمر اليهود بعد ذلك في محاولاتِهم التي بدأوها في مدينة رسول الله ﷺ.

واستعملوا في سبيل نجاح مقاصدهم كل حيلة وكل وسيلة، وقرر علماؤهم: أن الجنس هو: دستور الحياة وعنصر الوجود، وفي سبيل ذلك وغيره، حرفوا كتاب الله، وتقولوا على أنبيائهم الأقاويل.

وسار المنهزمون من المسلمين على مسيرتِهم، واستمعوا لأقوالهم، وقاموا على تنفيذ مخططاتِهم في مدارسهم ومعاهدهم.

وفي ظل الاستعمار البريطاني وحمايته، طَالَبَ: مرقص فهمي [٣] في مصر المرأة المسلمة بالتجرد من الحجاب، والانسلاخ من شرائع الإسلام!!!

وتلقف هذه الدعوة أحد أبناء المسلمين الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه هذه المرة.

إنه قاسم أمين الذي طالب بتحرير المرأة المسلمة لتكون شبيهة بأختها في الغرب. وروَّج لدعوته اليهود وأنصارهم، من أبناء المسلمين، وكل من في قلبه مرض.

لقد طالب اليهودي- لعنه الله - بنَزع حجاب المرأة المسلمة فكلفه ذلك حياته. وعندما طالب اليهود بذلك في هذا العصر استجاب لهم حكام المسلمين وأنصارهم.

---

(١) أي: ما يجلب من أماكن بعيدة بقصد بيعه.

(٢) وراجع في ذلك السيرة النبوية لابن هشام.

(٣) لعنه الله وجعل قبره نارًا .

فعل ذلك سعد زغلول عندما نزع حجاب هدى شعراوي وهي تستقبله بعد عودته من منفاه، فاقتدت النساء المصريات - إلا مَن رحم- بذلك.

وطالب كمال أتاتورك بنَزع الحجاب، واستصدر بذلك قانونًا وانتشر رجاله لتنفيذ أوامره.

وفعل ذلك رضا بَهلوي في إيران، وتبعه محمد أمان في أفغانستان.

ومن ينظر إلى دعاة السفور للمرأة، وخروجها على أحكام الشريعة، يرى أنّهم رجال يشبهون النساء، ونساء يشبهن الرجال لا أكثر الله من أمثالهم إذ أنهم ليسوا بقدوة كريمة في الدين والتزام الأحكام. وليسوا قدوة في متانة الأخلاق والبعد عن مواضع الفتن والتهم.

لقد كشفت المرأة عن وجهها، ولم تكتف بذلك، بل انحسرت ملابسها عن أجزاء كثيرة من جسمها. فعلت ذلك في هذا العصر المريض الدنس الهابط، الذي تَهيج فيه الفتن، وتثور فيه الشهوات، وتتبجح فيه الأطماع.

فكيف بالمؤمنين المتمسكين بدينهم، المراقبين لربِّهم في هذا الجو المشحون بالفتن؟!!!

إن المرأة في هذا العصر لم تكتف بكشف وجهها وانحسار ملابسها عن مواطن العفة !!! ولكننا نرى نساءً - مائلات مميلات - يتخنثن في نبراتِهن، ويتميعن في أصواتِهن، ويجمعن كل فتنة الأنثى، وكل هتاف الجنس، وكل شعار الشهوة، ثم يطلقنه في نبرات ونغمات؟؟

والإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، مجتمع لا تُهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين.. ولذلك شرع الحجاب.. وستر المرأة وصانها من كل دنس وتبذل.

فعمليات الاستثارة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي. فالنظرة الخائنة، والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العاري.. تتعاون وبئس التعاون على إشعال ذلك السعار الحيواني المجنون.

ونتيجة ذلك إما أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة، فيكون الإفضاء

الفوضوي الذي لا يتقيد، وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة عن الكبح بعد الإثارة [١].

ولهذا كان من دستور الإسلام في التربية: قوله -تعالى- :﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ... ﴾ الآية (النور: ٣٠-٣١).

يقول صاحب الظلال في تفسير هاتين الآيتين :

غض البصر من جانب الرجال أدب نفس، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة. كما أن فيه إغلاقًا للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية، ومحاولة للحيلولة دون وصول السهم المسموم.

وحفظ الفرج هو: الثمرة الطبيعية لغض البصر، أو هو الخطوة التالية لتحكيم الإرادة، ويقظة الرقابة، والاستعلاء على الرغبة في مراحلها الأولى.

والزينة حلال للمرأة تلبية لفطرتها، وكل أنثى مولعة أن تكون جميلة، والزينة تختلف من عصر إلى عصر، وأساسها في الفطرة واحد، هو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكماله، وتجليته للرجال.

والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية، ولكنه ينظمها ويضبطها ويجعلها تتبلور في الاتجاه بها إلى رجل واحد هو شريك الحياة يطلع منها على ما لا يطلع عليه أحد سواه.

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾: والجيب: فتحة الصدر في الثوب والخمار، ليستر مفاتنهن فلا يعرضها للعيون الجائعة، ولا حتى لنظرة الفجاءة، التي يتقي المتقون أن يطيلوها أو يعاودوها، ولكنها تترك كمينًا في أطوائهم بعد وقوعها في تلك المفاتن لو تركت مكشوفة.

والمؤمنات اللواتي تلقين هذا النهي، وقلوبُهن مشرقة بنور الله لم يتلكأن في الطاعة، على الرغم من رغبتهن الفطرية في الظهور بالزينة

---

[١] رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنًا المجلد الثالث د/ عبد الرحمن عميرة.

والجمال.

وقد كانت المرأة في الجاهلية - كما هي اليوم في الجاهلية الحديثة - تمر بين الرجال مفسحة بصدرها لا يواريه شيء. وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقراط أذنيها، فلما أمر الله النساء أن يضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها.. استجبن لأمر الله - تعالى -.

لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامي، وطهر إحساسه بالجمال، فلم يعد الطابع الحيواني يهفو إليه الإنسان بحس الحيوان مهما يكن من التناسق والاكتمال.

فأما جمال الحشمة فهو الجمال النظيف الذي يرفع الذوق الجمالي ويجعله لائقًا بالإنسان، ويحيطه بالنظافة والطهارة في الحس والخيال. فإن الخيال ليكون أحيانًا أقوى في إثارة الشهوات من العيان.

وكثير تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها أو حليها أكثر مما يثيرها رؤية جسدها ذاته. كما أن كثيرين يثيرهم طيف المرأة يخطر في خيالهم أكثر مما يثيرهم شخص المرأة بين أيديهم.

إن سماع وسوسة الحلي، أو شم شذا العطر من بعيد، يثير حواس رجال كثيرين، ويهيج أعصابَهم، ويفتنهم فتنة جارفة لا يملكون لها ردًّا.

والقرآن يأخذ الطريق على هذا كله؛ لأن مُنَزله هو الذي خلق، وهو يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

الباري - سبحانه وتعالى - عالم بما بدا وما خفي، وما كان وما لم يكن.. لا يخفى عليه ماض تقضّى، ولا مستقبل يأتي ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]. (١)

* * *

(١) راجع في ظلال القرآن عند تفسيره لهذه الآيات.

**طائفة من أقوال المفسرين في وجوب ستر الوجه :**

١- قال ابن الجوزي في قوله - تعالى - :﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. أي: يغطين رءوسهن ووجوههن ليعلم أنّهن حرائر، والمراد بالجلابيب: الأردية، قاله ابن قتيبة [١].

٢- وقال أبو حيان: وقوله - تعالى -: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ شامل لجميع أجسادهن، أو المراد بقوله :﴿عَلَيْهِنَّ﴾ أي: على وجوههن؛ لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه [٢].

٣- وقال أبو السعود: الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها، ومعنى الآية: أي يغطين بها وجوههن وأبدانهن إذا برزن لداعية من الدواعي.

وعن السدي: تغطى إحدى عينيها والشق الآخر إلا العين [٣].

٤- وقال الرازي (**الجصاص**): وفي هذه الآية :﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجنبيين، وإظهار الستر والعفاف - عند الخروج - لئلا يطمع فيهن أهل الريب [٤].

٥- وفي تفسير الجلالين: الجلابيب جمع جلباب، وهي: الملاءة التي تشتمل بها المرأة. قال ابن عباس: أمر النساء أن يغطين رءوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينًا واحدة ليعلم أنّهن حرائر [٥].

٦- وفي جامع البيان للطبري: عن ابن سيرين أنه قال: سألت عبيدة السلماني عن قوله - تعالى -: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ فرفع ملحفة كانت عليه فتقنع بها وغطى رأسه كله حتى بلغ الحاجبين، وغطى وجهه وأخرج عينه اليسرى من شق وجهه الأيسر، وروي مثل ذلك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - [٦].

فهذا قليل من كثير من أقوال المفسرين رحمهم الله أجمعين يدل

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤٢٢/٦.

(٢) البحر المحيط٧ / ٢٥٠.

(٣) إرشاد العقل السليم على هامش الرازي ٨٠١/٦.

(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣٧٢/٣.

(٥) تفسير الجلالين (**تفسير سورة الأحزاب**).

(٦) جامع البيان وتفسير القرآن العظيم ٥١٦/٥.

دلالة واضحة على وجوب ستر الوجه وعدم كشفه أمام الأجانب.

ويستثنى من ذلك حالتان :

أ- إذا كان الرجل خاطبًا.

ب- أو كانت المرأة محرمة بالحج أو العمرة، فإنه وقت عبادة، والفتنة مأمونة -غالبًا - فلا يُقاس على هاتين الحالتين كما يفعل بعض الحمقى اليوم فيقولون: إذا جاز للمرأة أن تكشف عن وجهها في حالة الإحرام، فمعناه: أنه يجوز لها أن تكشف في غيره من الأوقات؛ لأن الوجه ليس بعورة!!! فهذا كلام من لم يفقه شريعة الإسلام.

ومن درس حياة السلف الصالح، وما كان عليه النساء الفضليات نساء الصحابة والتابعين، وما كان عليه المجتمع الإسلامي في عصره الذهبي من التستر والتحفظ، والصيانة، عرف خطأ هذا الفريق من الناس، الذين يزعمون أن الوجه لا يجب ستره، بل يجب كشفه.

ويدعون المرأة المسلمة أن تُسفر عن وجهها بحجة أنه ليس بعورة، لأجل أن يتخلصوا من الإثم بزعمهم في كتم العلم، وما دروا أنها مكيدة دبرها لهم أعداء الإسلام، وفتنة من أجل التدريج بالمرأة المسلمة إلى التخلص من الحجاب الشرعي الذي عمل له الأعداء زمنًا طويلاً، فإنا الله وإنا إليه راجعون [1].

**شروط الحجاب الشرعي :**

**يشترط في الحجاب الشرعي بعض الشروط الضرورية وهي كالآتي:**

**أولاً:** أن يكون الحجاب ساترًا لجميع البدن؛ لقوله - تعالى -: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ..﴾. وقد عرفنا معنى الجلباب، وهو الثوب السابغ الذي يستر البدن كله، ومعنى الإدناء: الإرخاء والسدل، فيكون الحجاب الشرعي: ما ستر جميع البدن.

**ثانيًا:** أن يكون كثيفًا غير رقيق؛ لأن الغرض من الحجاب: الستر،

(١) روائع البيان ٢/ ٣٨٣، ٣٨٤.

فإذا لم يكن ساترًا لا يسمى حجابًا؛ لأنه لا يمنع الرؤية ولا يحجب النظر، وفى حديث عائشة أن (**أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهم - دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ...**)) [١] الحديث.

**ثالثًا:** ألا يكون زينة في نفسه، أو مبهرجًا، ذا ألوان جذابة، يلفت الأنظار؛ لقوله - تعالى - :﴿ **ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾[النور: ٣١] الآية. ومعنى :﴿ **مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ أي: بدون قصد ولا تعمد، فإذا كان في ذاته زينة، فلا يجوز ارتداؤه، ولا يسمى (**حجابًا**)؛ لان الحجاب هو الذي يمنع زهور الزينة للأجانب.

**رابعًا:** أن يكون فضفاضًا غير ضيق، لا يشف عن البدن، ولا يجسم العورة، ولا يظهر أماكن الفتنة في الجسم، وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس. ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا.. وفي رواية أخرى: وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**)) [٢].

ومعنى قوله عليه السلام: (**كاسيات عاريات**) أي: كاسيات في الصورة: عاريات في الحقيقة؛ لأنهن يلبسن ملابس لا تستر جسدًا، ولا تخفي عورة.

والغرض من اللباس: الستر، فإذا لم يستر اللباس صاحبه كان عاريًا.

---

(١) **مرسل:** رواه أبو داود، كتاب: اللباس، باب: فيما تبدي المرأة من زينتها، حديث (٤١٠٤)، والبيهقي في الكبرى (٢٢٦/٢)، حديث (١٠١٢٦٨) . وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٢٩/١٢. وفي الحديث ما يقرب من (١٢) علة تجعله منكرًا جدًّا .

**قلت: ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يدخل بعائشة إلا بعد الهجرة إلى المدينة ، وأن أسماء لما هاجرت كان ابنها عبد الله بن الزبير في بطنها ، فمتى كان دخولها على رسول الله ﷺ ؟ وآية الحجاب لم تنزل إلا بعد الهجرة في المدينة ؟؟ . والله أعلم .**

(٢) سبق تخريجه .

ومعنى قوله: **(مميلات مائلات)** أي: مميلات لقلوب الرجال، مائلات في مشيتهن، يتبخترن بقصد الفتنة والإغراء. ومعنى قوله: **(كأسنمة البخت)** أي: يصففن شعورهن فوق رءوسهن، حتى تصبح مثل سنام الجمل، وهذا من معجزاته ﷺ حيث حدث ما أخبر به قبل وقوعه بقرون [١].

**خامسًا**: ألا يكون الثوب معطرًا، فيه إثارة للرجال؛ لقوله ﷺ: «**كل عين نظرت زانية، وإن المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا، يعني زانية**» [٢]. وفي رواية أخرى: «**إن المرأة إذا استعطرت فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي زانية**».

وعن موسى بن يسار قال: مرَّت بأبي هريرة امرأة، وريحها تعصف، فقال لها: أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد، قال: وتطيبت؟ قالت: نعم. قال: نعم. قال: فارجعي فاغتسلي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يقبل الله من امرأة صلاة، خرجت إلى المسجد وريحها تعصف، حتى ترجع وتغتسل**» [٣].

**سادسًا**: ألا يكون الثوب فيه تشبه بالرجال، أو مما يلبسه الرجال لحديث أبي هريرة: «**لعن النبي ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل**» [٤].

وفي الحديث: «**لعن الله المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء**» أي: المتشبهات بالرجال في أزيائهن وأشكالهن كبعض نساء هذا العصر

---

(١) روائع البيان ٣٨٥/٢.

(٢) **حسن**: رواه أبو داود، كتاب: الترجل، باب: ما جاء في المرأة تتطيب للخروج، حديث (٤١٧٢)، والترمذي، حديث (٢٧٨٦)، النسائي، حديث (٥١٢٦). وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود، كتاب: الترجل، باب: ما جاء في المرأة تتطيب للخروج، حديث (٤١٧٤)، وابن ماجه، حديث (٤٠٠٢)، وأحمد في مسنده (٤٦١/٢)، حديث (٤٩٣١٧). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود، كتاب: اللباس، باب: في لباس النساء، حديث (٤٠٩٨)، وأحمد في مسنده (٣٢٥/٢)، حديث (٤٧٦٦٩)، وابن حبان في صحيحه (٦٣/١٣)، حديث (٧٢٨٩٤). وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

نسأل الله - تعالى - أن يرد الرجال والنساء إلى العمل بالكتاب والسنة ردًّا جميلاً (آمين) .

**ما ترشد إليه الآيات الكريمة :**

١- النهي عن دخول بيوت النبي ﷺ بغير إذن، وبدون سابق دعوة.

٢- لا ينبغي الحضور قبل نضج الطعام، ولا الجلوس بعد تناول طعام الوليمة.

٣- وجوب احترام الرسول ﷺ وتعظيمه، وامتثال أوامره وتقديم طاعته على كل شيء.

٤- حرمة إيذاء الرسول ﷺ بالأقوال أو الأفعال، والتأدب معه في جميع الأحوال.

٥- حرمة نكاح أمهات المؤمنين من بعد وفاته ﷺ؛ لأنهن أزواج رسول الله ﷺ .

٦- خلق الرسول ﷺ وحياؤه العظيم يمنعه من أمر الناس بالخروج من منْزله، فينبغي عدم الإثقال عليه ، ومِن ثَمّ أدبَهم بقوله : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ﴾ .

٧- نساء الرسول ﷺ هُنّ القدوة والأسوة الحسنة لسائر النساء، فينبغي مخاطبتهن من وراء حجاب.

٨- في عدم الاختلاط بالنساء صفاء النفوس، وسلامة القلوب، ونقاء السريرة، والبعد عن مظان التهم.

٩- الآداب التي أرشد إليها القرآن، ينبغي التمسك بها، وتطبيقها تطبيقاً كاملاً.

١٠- الحجاب مفروض على جميع نساء المؤمنين، وهو واجب شرعي محتم.

١١- الحجاب لم يُفرض على المسلمة تضييقاً عليها، وإنما تشريفاً لها وتكريمًا.

١٢- في ارتداء الحجاب الشرعي صيانة للمرأة، وحماية للمجتمع من

ظهور الفساد، وانتشار الفواحش.

١٣- على المسلمة أن تتمسك بأوامر الشرع الإسلامي.

١٤- الله رحيم بعباده، وقد شرع لهم من الأحكام ما فيه خيرهم وسعادتهم في الدارين [١].

* * *

(١) راجع روائع البيان ٢/٣٥٣، ٣٥٤، ٣٨٦، ٣٨٧.

obeikandl.com

# والفضل ما شهدت به الأعداء

## ((امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية المرأة))

وتحت هذا العنوان نشرت صحيفة (**الجمهورية**) بالقاهرة مقالاً لصحيفة أمريكية تدعى: (**هيلسيان ستانسبري**) قالت هذه الكاتبة الأمريكية بعد أن مكثت شهرًا في الجمهورية العربية ما نصه: إن المجتمع العربي مجتمع كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشاب في حدود المعقول.

وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، وتحتم أكثر من ذلك: عدم الإباحية الغربية التي تُهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا.

إن القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة: صالحة ونافعة، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا. امنعوا الاختلاط، فقد عانينا منه - في أمريكا - الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا معقدًا، مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة. وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين، يملأون السجون والأرصفة، والبارات والبيوت السرية. إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار، قد جعلت منهم عصابات أحداث. وعصابات (**جيمس دين**) وعصابات المخدرات والرقيق.

إن الاختلاط، والإباحية، والحرية في المجتمع الأوربي والأمريكي هدَّدَ الأسر، وزلزل القيم والأخلاق، فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث، تخالط الشبان، وترقص، وتشرب الخمر، وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والإباحية.. وهي تلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها، بل وتتحدى والديها، ومدرسيها، والمشرفين عليها.. تتحداهم باسم الحرية والاختلاط، تتحداهم باسم

الإباحية والانطلاق.

تتزوج في دقائق، وتطلق بعد ساعات، ولا يكلفها أكثر من إمضاء، وعشرين قرشًا، وعريس ليلة [١].

هذا كلام الكاتبة الأمريكية ينضح حسرة وحزنًا وأسى على مجتمعها وهو يرتكس إلى الحضيض.

فهل يعي القائمون على أمور المسلمين الدرس أم أنّهم مصرون على الأخذ بأيدي رعاياهم إلى الهاوية؟!!!

* * *

(١) جريدة الجمهورية القاهرة ٩ يونيو ١٩٦٢ ميلادية.

obeikandl.com

# النداء الخامس
# بمشروعية الصلاة على النبي ﷺ

يقول الله عز وجل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦-٥٨].

**صلة النص بما قبله :**

في الآيات الكريمة السابقة: كان الحديث عن حرمة دخول بيوت النبي ﷺ وعن حرمة نكاح أزواجه الطاهرات رضي الله عنهن وقد بيَّن - تعالى - فيها أن شأن المؤمنين ألا تكون منهم أذية للرسول ﷺ لما عليهم من حق عظيم. وفي هذا توجيه وإرشاد إلى تكريمه ﷺ وحياطة لمقامه الشريف.

وهنا بيّن - تعالى - أن الله يُكرم نبيه ويرحمه، ويُعلي شأنه، وملائكته كذلك. فكيف لا يكرمه المؤمنون، مع أن الله يصلي عليه؟!! وهو لا يستحق إلا كل تكريم وتمجيد، فكأنه قيل لهم: لا ينبغي لكم أن تؤذوه، فإن الله يصلي عليه وملائكته [١].

**المقصود الأسمى من النص الكريم :**

إن الله - سبحانه وتعالى - أخبر عباده بمنْزلة عبده ونبيه ﷺ عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر - تعالى - أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا [٢].

**معاني المفردات والتراكيب :**

﴿ يُصَلُّونَ ﴾: الصلاة في اللغة معناها: الدعاء والاستغفار، ومنه قوله -

---

(١) روائع البيان ٢/ ٣٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٤٩٥.

تعالى-: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[التوبة: ١٠٣] أي: ادع لهم بالمغفرة والرحمة.. قال الأعشى:

عليكِ مثل الذي صليتِ فاغتمضي نومًا فإن لجنب المرء مضطجعا

أي: لك من الدعاء مثل ما دعوت لي به.

وسميت الصلاة المفروضة صلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار، وتأتي الصلاة بمعنى الرحمة، ومنه قوله ﷺ: «**اللهم صل على آل أبي أوفى**». قال الأزهري: هي بمعنى الرحمة، أي: ارحم آل أبي أوفى. وقال الشاعر:

صلّى على عزة الرحمن وابنتها ليلى وصلّى على جاراتها الأخر[1]

قال ابن عباس: أراد أن الله - تعالى - يرحمه، والملائكة يدعون له ويبركون.

وقال أبو العالية: صلاة الله - تعالى - ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاتُهم دعاؤهم له[2].

﴿النَّبِيِّ﴾: قال الجوهري: والنبي المخبر عن الله ﷻ لأنه أنبأ عنه، وجمعه: أنبياء. وفي النهاية: يجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه. قال سيبويه: ليس أحد من العرب إلا ويقول: تنبأ مسيلمة بالهمز، غير أنّهم تركوا الهمز في النبي، كما تركوه في الذرية والبرية، إلا أهل مكة، فإنّهم يهمزون هذه الأحرف، ثم قال: والهمز في (**النبي**) لغة رديئة.

واشتقاقه من نبأ، وأنبأ أي: أخبر[3]. وجمع النبي: أنبياء ونبآء.

قال ابن مرداس:

يا خاتم النبآء إنك مرسلٌ بالخير كل هُدى السبيل

إن الإله ثنى عليك محبة في خلقه ومحمدًا أسماكا[4]

وكل ما ورد في القرآن الكريم من خطاب للنبي ﷺ أو الرسول،

---

(١) البيت للراعي كما في اللسان (**صلى**).

(٢) إرشاد العقل السليم ٦/٧٩٩.

(٣) لسان العرب مادة (**نبأ**).

(٤) المرجع السابق.

فإنما يقصد به محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿ يُؤْذُونَ اللَّهَ ﴾: إيذاء الله: وصفه بما لا يليق به - جل وعلا - كما يقول اليهود: ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[المائدة: ٦٤] ، ﴿ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾[التوبة: ٣٠].

وقول النصارى: ﴿ المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾[التوبة: ٣٠] ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣] وقول كفار قريش: الملائكة بنات الله، وسائر ما لا يُرضي الله ﷻ من الكفر والعصيان.

وإيذاء الرسول كقولهم عنه: مجنون، شاعر، ساحر، كذاب. أو: إلحاق الأذى به كشجّ وجهه الشريف، وكسر رباعيته في أُحد. وأمثال ذلك من الأذى الحسي أو الأذى المعنوي الذي كان يلحقه به المنافقون والكفار.

﴿ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ اللعن: الطرد والإبعاد من رحمة الله ﷻ، قال - تعالى -: ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾[الأحزاب: ٦١].

﴿ بُهْتَانًا ﴾ البهتان: الافتراء والكذب الواضح، وهو من البهت بمعنى التحير. قال ابن منظور: «**بَهت الرجل يبهته بهتانا**»، وباهته: استقبله بأمر يقذفه به وهو منه بريء. والبهتان: الباطل الذي يتحير من بطلانه [١].

﴿ مُّبِينًا ﴾ بينًا ظاهرًا؛ لأنه واضح الكذب والبهتان، تقول: بان الشيء، وبان الأمر، وبان الحق: إذا ظهر جليًّا واتضح. قال الشاعر:

فبان للعقل أن العلم سيده ... فَقَبّل العقلُ رأسَ العلم وانصرفا

وتسمى البينة: بَيّنة؛ لأنها تكشف الحق وتظهره [٢].

**من لطائف القرآن الكريم:**

**الأولى**: قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ ﴾

ورد ذكر الثناء على الرسول ﷺ بهذه الصيغة، فجاء الخبر مؤكدًا بـ (إن) اهتمامًا به، وجيء بالجملة الاسمية لإفادة الدوام. وكانت

---

(١) لسان العرب مادة (**بَهت**).

(٢) لسان العرب والقاموس المحيط (**بَهت**).

الجملة اسمية في صدرها: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ فعليّة في عجزها ﴿يُصَلُّونَ﴾ للإشارة إلى أن هذا الثناء من الله - تعالى - والتمجيد الدائم يتجدد وقتًا فوقتًا على الدوام.

**الثانية:** قد يقول قائل: إذا صلى الله وملائكته عليه فأي حاجة إلى صلاتنا عليه؟

**والجواب:** إن الصلاة عليه ليس لحاجته إليها، وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه ﷺ ليثيبنا الله - تعالى - عليه. ولهذا قال ﷺ: «**من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرًا**» فصلوات ربي وسلامه عليه.

**الثالثة:** قال الفخر الرازي رحمه الله: الصلاة: الدعاء، يقال في اللغة: صلى عليه أي: دعا له، وهذا المعنى غير معقول في حق الله - تعالى -، فإنه لا يدعو له؛ لأن الدعاء للغير طلب نفعه من ثالث، والجواب: أن اللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييه معًا، وكذلك: الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز، وهذا مذهب الشافعي-رحمه الله- فالصلاة من الله: بمعنى الرحمة. ومن الملائكة بمعنى: الاستغفار، وهما يشتركان في العناية بحال المرحوم، والمستغفر له، والمراد: هو القدر المشترك [1].

**الرابعة:** أمرنا الله بالصلاة على نبيه محمد ﷺ وكان يكفي أن نقول: صلينا عليه، أو يقول الإنسان: أصلي عليه. فلماذا نقول عند الصلاة عليه: اللهم صل على محمد؟

**والجواب:** أن الله - تعالى - لما أمرنا بالصلاة عليه، ولم نبلغ قدر الواجب من ذلك، أحلناه على الله ﷻ وقلنا: اللهم صل أنت على محمد؛ لأنك أعلم بما يليق به، فنحن عاجزون عن توفيته، وقاصرون عن معرفة الثناء عليه بالقدر اللائق به، وقد أوكلنا الأمر إليك [2].

**الخامسة:** قال بعض العلماء: معنى قولنا: اللهم صل على محمد، أي:

---

(١) التفسير الكبير ٦/٧٩٦.

(٢) روائع البيان ٢/٣٣٨.

عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف أجره ومثوبته، وإعطائه المقام المحمود.

**السادسة**: في التعبير باسم الموصول في قوله :﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ... ﴾ ما يشعر بالذم والتوبيخ لجرأتهم على الله - تعالى - وعلى رسوله ﷺ كما أن التعبير بصيغة المضارع: يشير إلى أن هذا الوعيد الشديد لا يحل بهم إلا إذا استمروا في فعل هذا المنكر الشنيع، أما إذا تابوا وعادوا إلى رشدهم ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٧٠).

**السابعة**: التنكير في قوله: **(عذابًا، بُهتانًا، إثمًا)** للتعظيم في هولها ووقعها وكما أن التعظيم يستعمل في الأمور المحبوبة، يستعمل كذلك في الأمور المكروهة، وتحديد المعنى المراد يتأتى من خلال فهم السياق.

**الأحكام الفقهية :**

**الحكم الأول: في فضائل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ :**

هذا العمل المشروع، له فضائل كثيرة جدًّا، وقد قامت الأدلة على ذلك منها :

١- ما جاء في النص الكريم، وذلك في قوله ﷻ :﴿ .. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾. ومن رحمة الله - تعالى - بالمكلفين أنه لا يأمرهم إلا بما فيه نفع لهم وخير لهم في الدارين.

عن أبي طلحة رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه، فقلنا: إنا لنرى البشرى في وجهك !!! فقال: إنه أتاني الملك فقال يا محمد، إن ربك يقول: أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرًا»[(١)].

وقوله ﷺ «**إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي، كتاب: السهو، باب: فضل التسليم على النبي ﷺ، حديث (١٢٨٣)، وأحمد في مسنده (٢٩/٤)، والدارمي في سننه (٤٠٨/٢)، حديث (٢٧٧٣). وصححه الألباني في صحيح النسائي.

(٢) **ضعيف**: رواه الترمذي، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ..... =

وقال ﷺ: «**البخيل الذي مَن ذُكرتُ عِنده فلم يصل علي**»[١].

اللهم اجعل صلواتك، ورحماتك، وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين دائمة بدوام السموات والأرضين إنك سميع الدعاء[٢].

## الحكم الثاني: صيغ الصلاة والسلام على الرسول ﷺ :

صيغ الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ جاءت من طرق كثيرة في السنة النبوية. وتعدد الصيغ في هذا الباب يشعر بالتيسير على الأمة في هذا الجانب، فكل من تيسرت له صيغة تقرب إلى الله - تعالى - بها. ولم يلزم الحق ﷻ الأمة بصيغة معينة حتى لا تقع في الحرج.. وهو الذي قامت الشريعة على رفعه..﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

### ومن بين هذه الصيغ ما يلي :

١- روى الشيخان عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قل: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد**»[٣].

٢- وروى الشيخان ومالك وأحمد عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ قولوا: «**اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم. وبارك على**

---

= حديث (٤٨٤)، وابن حبان في صحيحه (١٩٢/٣)، حديث (٩١١)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي . وانظر: جامع الأصول ٤/ ٤٠٦.

(١) **صحيح**: رواه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: قول النبي ﷺ رغم أنف رجل ...، حديث (٣٥٤٦)، وأحمد في مسنده (٢٠١/١)،حديث (١٧٣٦) . وصححه الألباني في صحيح الترمذي . وانظر: جامع الأصول ٤٠٦/٤ .

(٢) راجع كتابي: الترغيب والترهيب، والشفاء للقاضي عياض ففيهما خير كثير.

(٣) رواه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: الصلاة على النبي ﷺ، حديث (٦٣٥٧)، ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ، حديث (٤٠٦)، وأبو داود، حديث (٩٧٦) .

**محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[١].

٣- وأخرج البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام عليك قد علمناه، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا: «**اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد**»[٢].

٤- وروى مسلم وغيره عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أنه قال: أتانا النبي ﷺ ونحن في مجلس (**سعد بن عبادة**) فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ فسكت حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال: قولوا: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم**»[٣].

وأي صيغة من هذه الصيغ: للمسلم أن يأخذ بها ما دامت في دائرة القبول الشرعي[٤].

وأما التسليم فصيغته معروفة، وهي أن يقول المؤمنون: السلام عليك يا رسول الله.

وفي التشهد يقول المصلي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

**ومعنى التسليم**: الدعاء بالسلامة من جميع البلايا والآفات والأسقام، وذهب بعض العلماء إلى أن معنى التسليم: الانقياد وعدم

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: هل يصلي على غير النبي ﷺ، حديث (٦٣٦٠)، ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ، حديث (٤٠٧)، وأبو داود، حديث (٩٧٩). وانظر: جامع الأصول ٤/٤٠٤.

(٢) سبق تخريجه. وانظر: جامع الأصول ٤/٤٠٣.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) **يراد بالقبول الشرعي**: ما كان الحكم مستندًا إلى آية من كتاب الله تعالى أو حديث صحيح أو حسن.

المخالفة، أي: سلموا لما يأمركم به، والله أعلم.

**الحكم الثالث: معنى صلاة الله والملائكة على النبي ﷺ :**

تأتي الصلاة في اللغة بمعنى الدعاء، وتأتي بمعنى: الرحمة، وتأتي بمعنى: التمجيد والثناء، ومن ذلك قوله - تعالى - :﴿ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

ومن هنا: فقد ذهب بعض العلماء إلى أن الصلاة من الله - تعالى - على نبيه معناها: تمجيده والثناء عليه، وإلى هذا ذهب البخاري وطائفة من العلماء وهو الأظهر.

وقال آخرون: المراد بالصلاة على النبي ﷺ: رحمته ومغفرته، وإلى هذا ذهب سعيد بن جبير، والحسن البصري.

وقيل: المراد بها البركة والكرامة [١].

**وأما صلاة الملائكة فمعناها:** الدعاء له عليه السلام والاستغفار لأمته، وعلى جميع الأقوال: فالصلاة من الله غير الصلاة من الملائكة.

ولما جاء اللفظ مجموعًا مضافًا إلى واو الجماعة ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾، وكانت الصلاة من الله غير الصلاة من الملائكة، لذا فقد اختلف المفسرون في تأويل الآية على أقوال :

**الأول:** ذهب بعضهم إلى أن في الآية حذفًا دل عليه السياق، تقديره: إن الله يصلي على النبي، وملائكته يصلون على النبي، فتكون واو الجماعة راجعة على الملائكة خاصة، ويؤيد هذا قراءة الرفع ﴿ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ وليس اللفظ مشتركًا بين الله - تعالى - وملائكته.

**الثاني:** وذهب آخرون إلى أنه من باب: **(الجمع بين الحقيقة والمجاز)** وهو مذهب الإمام الشافعي رحمه الله فعنده يجوز استعمال اللفظ المشترك في معنييه معًا، كما يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز، فيكون لفظ **(يُصَلُّونَ)** عائدًا إلى الله - تعالى - وإلى الملائكة بالمعنيين معًا، ويصبح معنى الآية: إن الله - تعالى - يرحم نبيه، وملائكته يدعون له [٢].

---

(١) زاد المسير ٦/٣٩٨.

(٢) التفسير الكبير ٦/٧٨٧.

**الثالثة**: وقالت طائفة: إنه من باب (**عموم المجاز**)، لا من باب (**الجمع بين الحقيقة والمجاز**) فيقدرون معنى مجازيًّا عامًّا، ينتظم أفرادًا كثيرة يشملها هذا اللفظ، وهذا المعنى العام تقديره: (**العناية بشان النبي**) ﷺ فالاعتناء يكون من الله - تعالى - على وجه، ويكون من الملائكة على وجه آخر، وهذا اختيار كثير من المفسرين:

قال أبو حيان: وصلاة الله غير صلاة الملائكة، فكيف اشتركا؟ والجواب: اشتركا في قدر مشترك، وهو إرادة وصول الخير إليهم، فالله - تعالى - يريد برحمته إياهم وصول الخير إليهم، والملائكة يريدون بالاستغفار ذلك [1].

وقال أبو السعود: قوله - تعالى - :﴿يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قيل: الصلاة من الله - تعالى - الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار. وقال ابن عباس: أراد أن الله يرحمه والملائكة يدعون له.. فينبغي أن يراد في: (**يُصَلُّونَ**) معنى مجازي عام، يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردًا حقيقيًّا له، أي: يعتنون بما فيه خيره وصلاح أمره، ويهتمون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه، وذلك من الله سبحانه بالرحمة، ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار» [2].

**الحكم الرابع: حكم الصلاة على النبي ﷺ :**

أمر الله ﷻ المؤمنين بالصلاة على نبيه الكريم ﷺ وهذا الأمر للوجوب، فتكون الصلاة على النبي ﷺ واجبة، ويكاد العلماء يجمعون على وجوب الصلاة والتسليم عليه مرة في العمر، وقد حكى القرطبي الإجماع على ذلك، عملاً بظاهر الأمر (**صلوا**) وما يقتضيه من الوجوب، وتكون الصلاة والسلام في ذلك كالتلفظ بشهادة التوحيد، حيث لا يصح إسلام المرء إلا بالنطق بها.

وقد اختلف العلماء في حكم الصلاة على النبي ﷺ هل تجب في كل مجلس؟ وكلما ذكر اسمه الشريف ﷺ؟ أم هي مندوبة؟ وذلك

---

(١) البحر المحيط ٢٣٧/٧.

(٢) تفسير: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم على هامش التفسير الكبير ٧٩٩/٦.

بعد اتفاقهم على أنها واجبة في العمر مرة.

١- فقال بعضهم: أنها واجبة كلما ذكر اسم النبي ﷺ

٢- وقالت طائفة: تجب في المجلس مرة واحدة، ولو تكرر ذكره ﷺ في ذلك المجلس مرات.

وقال آخرون: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد أو مجلس، ويكفي أن يكون في العمر مرة.

واستدل القائلون بالوجوب في المجلس، أو كلما ذكر اسم الرسول ﷺ أن الله ﷻ أمر بها، فالأمر يفيد التكرار، ثم ما ورد من الوعيد الشديد لمن لم يصل على رسول الله ﷺ كقوله: «**البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي**»[١]. وقوله ﷺ «**ما من قوم يجلسون في مجلس، ثم يقومون منه لا يذكرون الله، ولا يصلون على نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا كان ترة[٢] عليهم يوم القيامة**»[٣].

وقول جبريل للنبي عليهما السلام: «**بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت: آمين**»[٤]. فهذه تفيد الوجوب عندهم.

وذهب جمهور العلماء إلى أن الصلاة على النبي ﷺ قربة وعبادة، كالذكر والتسبيح والتحميد، وأنها واجبة في العمر مرة، ومندوبة ومسنونة في كل وقت وحين، وأنه ينبغي الإكثار منها لما صح عنه ﷺ أنه قال: «**من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا**»[٥] وغير ذلك من

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أي: حسرة وندامة.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، حديث (٣٣٨٠)، وأحمد في مسنده (٤٤٦/٢)، حديث (٩٧٦٣). وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٤) **صحيح**: رواه ابن خزيمة في صحيحه (١٩٢/٣)، حديث (١٨٨٨)، وابن حبان في صحيحه (١٨٨/٣)، حديث (٩٠٧)، والبيهقي في الكبرى (٣٠٤/٤)، حديث (٨٢٨٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٧٨).

(٥) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ، حديث (٤٠٨)، وأبو داود، حديث (١٥٣٠)، والترمذي، حديث (٤٨٥)، والنسائي، حديث (١٢٩٦).

الأحاديث الكثيرة الواردة في فضل الصلاة على النبي ﷺ فهي مطلوبة، ولكن لا على سبيل الوجوب، بل على سبيل الندب والاستحباب.

قال القاضي رحمه الله: والذي يقتضيه الاحتياط، ويستدعيه معرفة علو شأنه ﷺ أن يُصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع [١].

**والراجح:** ما ذهب إليه الجمهور والله - تعالى - أعلم.

**الحكم الخامس: حكم الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة :**

**وللعلماء في هذه المسألة مذهبان :**

**الأول:** مذهب الشافعي وأحمد رحمهما الله - تعالى - أنها واجبة في الصلاة ولا تصح الصلاة بدونها.

**الثاني:** مذهب مالك وأبي حنيفة رحمهما الله - تعالى - أنها سنة مؤكدة في الصلاة وتصح الصلاة بدونها مع الكراهة.

**أدلة المالكية والأحناف :**

**استدلوا بأدلة أبرزها ما يلي :**

أ- قوله - تعالى - :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾وقد تضمنت هذه الآية: الأمر بالصلاة على النبي ﷺ وظاهره يقتضي الوجوب. فمتى أداها الإنسان مرة واحدة - في صلاة أو غير صلاة - فقد أدى فرضه، وهو مثل كلمة التوحيد، والتصديق بالنبي ﷺ متى فعله الإنسان مرة واحدة في عمره، فقد أدى فرضه، والأمر يقتضي الوجوب لا التكرار.

ب- حديث ابن مسعود حين علَّمه ﷺ التشهد فقال: «**إذا فعلت هذا، أو قلت هذا، فقد تمت صلاتك، فإن شئت أن تقوم فقم، ثم اختر من أطيب الكلام ما شئت**» [٢]. ولم يأمره بالصلاة على النبي ﷺ.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٦/٨٠٠.

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: التشهد، حديث (٩٦٨)، وأحمد في مسنده (٤٢٢/١)، حديث (٤٠٠٦)، والدارمي في سننه (٣٥٥/١)، حديث (١٣٤١) . وانظر: جامع الأصول ٣٩٨/٥ .

ج- حديث معاوية بن الحكم السُّلَمي، وفيه: أن النبي ﷺ قال: «**إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتهليل وقراءة القرآن**»[١]. ولم يذكر الصلاة على النبي ﷺ.

د- ما روي عن كثير من الصحابة أنّهم كانوا يكتفون بالتشهد في الصلاة، وهو: (**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**) ولا يوجبون الصلوات الإبراهيمية.

قال الرازي - رحمه الله-: وزعم الشافعي أن الصلاة على النبي ﷺ فرض في الصلاة، وهذا قول لم يسبقه إليه أحد من أهل العلم فيما نعلمه وهو خلاف الآثار الواردة عن النبي ﷺ لفرضها في الصلاة[٢].

قال ابن كثير - رحمه الله -: وقد شرع بعض المتأخرين يخطئ الإمام الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة، ويزعم أنه قد تفرد بذلك، وأن الإجماع على خلافه، وقد تعسف هذا القائل في رده على الشافعي، وقال ما لم يحط به علمًا، فإنا قد روينا وجوب ذلك - في الصلاة - عن جماعة من الصحابة، منهم ابن مسعود، وجابر بن عبد الله، ومن التابعين: الشعبي ومقاتل بن حيان، وإليه ذهب الإمام أحمد أخيرًا، وللقول بوجوبه ظواهر الحديث والله أعلم.

**والغرض**: أن الشافعي - رحمه الله - يقول بوجوب الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة، فلا إجماع على خلافه في هذه المسألة، لا قديمًا ولا حديثًا، والله أعلم.

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، حديث (٥٣٧)، ولفظه: ((بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذْ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله . فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وا ثُكْلَ أُمِّيَاه – أي فقدتني أمي - ما شانكم تنظرون إليّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلّى ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت مُعلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كَهَرني ولا ضربني ولا شتمني، وإنما قال: إن هذه الصلاة .... الحديث))، وأبو داود، حديث (٩٣٠)، والنسائي، حديث (١٢١٨) .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٧٠.

**أدلة الشافعية والحنابلة :**

**واستدل الشافعية والحنابلة على أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة في الصلاة بأدلة منها :**

ا- الأمر الوارد في قوله - تعالى - :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ والأمر يقتضي الوجوب، ولا وجوب في غير التشهد، فتكون الصلاة على النبي واجبة في الصلاة.

ب- حديث كعب بن عجرة: قلنا: يا رسول الله، قد عرفنا التسليم عليك، فكيف نصلي عليك؟ فقال: قولوا: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...**» الحديث.

قال ابن كثير - رحمه الله -: ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير، فإن تركه لم تصح صلاته، وهو ظاهر الآية، ومفسر هذا الحديث عن جماعة من الصحابة، وهو مذهب الإمام أحمد، وإليه ذهب ابن مسعود، وجابر بن عبد الله[1].

**الحكم السادس: حكم الصلاة على غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:**

يرى بعض العلماء أن الصلاة تجوز على غير الأنبياء؛ لأن الصلاة معناها: الدعاء، والدعاء يجوز للأنبياء ولغير الأنبياء، واستدلوا بما ورد عنه ﷺ من قوله: «**اللهم صل على آل أبي أوفى**»[2].

وذهب الأكثرون إلى أن الصلاة (**شعار**) وهي خاصة بالأنبياء، فلا تجوز لغيرهم، فلا يصح أن تقول: اللهم صل على الشافعي مثلاً أو على أبي حنيفة، وإنما تترحم عليهما، ويجوز الترضي عن الصحابة والتابعين، ولا تجوز الصلاة عليهم؛ لأنها شعار الأنبياء والمرسلين.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٥١٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: هل يصلي على غير النبي ﷺ، حديث (٦٣٥٩)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: الدعاء لمن أتى بصدقة، حديث (١٠٧٨)، وأبو داود، حديث (١٥٩٠)، النسائي، حديث (٢٤٥٩).

قال القاضي - رحمه الله -: وأما الصلاة على غير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فتجوز تبعًا، وتكره استقلالاً؛ لأنه في العرف شعار ذكر الرسل، ولذلك لا يجوز أن يقال: «محمد عز وجل» مع كونه عزيزًا جليلاً [١].

والمراد بقوله: تبعًا أن يقال: مثلاً: اللهم صل على محمد وآله وذريته وأتباعه المؤمنين.. ولا يقال: اللهم صل على ذرية محمد، ولا: اللهم صل على أزواج محمد، وإنما إذا صلينا على الرسول ﷺ، يجوز لنا أن نضيف تبعًا من نشاء من عباد الله الصالحين، والله أعلم.

**الحكم السابع: فيمن يؤذي الله ورسوله ﷺ:**

من اقترف هذا الجرم العظيم فقد خسر دينه ودنياه، وخرج من ملة الإسلام وما ظلمهم الله شيئًا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. وقد لعنهم الله - تعالى - في الدارين وأعد لهم عذابًا مهينًا لجرأتهم على الله ورسوله ﷺ حتى ولو ادعوا أنهم غير قاصدين لما تلفظوا به.. قال الله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

قال أبو معشر المديني عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء.. فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فجاء إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب. فقال: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون.. إلى قوله: كانوا مجرمين [٢].

**الحكم الثامن: فيمن يؤذي المؤمنين والمؤمنات:**

ومن آذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا.. فأحد أمرين، إما أن يكون مستحلاً لهذا الصنيع أولاً.. فإن كان مستحلاً فقد كفر وخرج

---

(١) إرشاد العقل السليم ٦/٨٠٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/٤١٦.

من الدين، يستتاب ثلاثًا، وإلا قتل [١].

وإن كان غير مستحل، فإنها كبيرة من الكبائر، يقام على صاحبها الحد، كحد القذف أو القتل...إلخ، ولا يخرج من الملة.. فإن كانت الحدود معطلة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله - تعالى - إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه.

**المعنى الإجمالي :**

يخبر المولى - جل وعلا - بما منحه للرسول ﷺ من جاه عظيم، ومنْزلة سامية، ومكانة رفيعة عند الله - تعالى - وما له من السيادة والمقام المحمود في الملأ الأعلى، وما خصه الله - تعالى - به من الثناء العاطر، والذكر الحسن، فيقول الله - تعالى -... ما مضمونه :

إن الله - تعالى - يرحم نبيه، ويعظم شأنه، ويرفع مقامه، وملائكته الأبرار، وجنده الأطهار، يدعون للنبي عليه السلام ويستغفرون له، ويطلبون من الله أن يبارك ويمجد عبده ونبيه محمدًا ﷺ ويُنيله أعلى المراتب، ويظهر دينه على جميع الأديان، ويجز له الأجر والثواب، على ما قدم لأمته من خير عميم، وفضل جسيم.

فيا أيها المؤمنون صلوا أنتم عليه، وعظموا أمره، واتبعوا شرعه، وأكثروا من الصلاة عليه والتسليم، فحقه عليكم عظيم، ومهما فعلتم فلن تؤدوه حقه، فقد كان المنقذ لكم من الضلال إلى الهدى، وبه أخرجكم الله من الظلمات إلى النور ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحديد:٩]، فقولوا كلما ذكر اسمه الشريف: اللهم صل على محمد وسلم تسليمًا كثيرًا، وادعوا الله أن يجزيه عنكم خير الجزاء.

ثم أخبر - تعالى - أن الذين يؤذون الله ورسوله قد استحقوا غضب الله ولعنته عليهم في دنياهم وأخراهم، وأن الله أعد لهم عذابًا شديدًا لا يدرك كنهه ولا يعرف هوله. وكذلك الذين آذوا المؤمنين والمؤمنات،

---

(١) لحديث: ((**من بدل دينه فاقتلوه**)) وقد سبق تخريجه.

فنسبوا إليهم ما لم يفعلوه، واتّهموهم بالكذب والزور والبهتان. وتقولوا على ألسنتهم ما لم يقولوه. هؤلاء الذين فعلوا ذلك، لهم أيضًا عذاب أليم في الدنيا والآخرة جزاء ما اقترفوا من سيئ الأعمال.

## حكمة التشريع :

مجد الله رسولَه ﷺ وأثنى عليه الثناء العطر، ورفع مكانته على جميع الأنبياء والمرسلين، وأحله المحل الرفيع الذي يليق بمنْزلته السامية، ومرتبته العالية، وأمر المؤمنين بالتأدب مع الرسول الكريم ﷺ، وبتعظيم أمره وتمجيد شأنه، وصلى عليه في الملأ الأعلى مع الملائكة الأطهار، وكل ذلك ليعلم المؤمنين مكانة هذا النبي العظيم، ليجلوه ويحترموه، ويطيعوا أمره؛ لأنه سبب سعادتِهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الفتح: ٩].

وقد أمر المؤمنين بالصلاة على الرسول الكريم، وجعل ذلك فرضًا لازمًا لا يتم إيمان بدونه، وحرّم إيذاءه بالقول أو الفعل، وينهى عن كل ما يمسّ مقامه الشريف من إساءة وعدوان، وجعل ذلك إيذاءً له - تعالى -؛ لأن في تكذيبه تكذيبًا لله - تعالى - وفي الاستهزاء بدعوته استهزاءً بالله - تعالى -؛ لأنه رسول رب العالمين؛ فيجب أن يطاع في كل أمر، وأن يحترم قوله؛ لأنه مبلغ عن الله، وصدق الله حيث يقول :﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقد حكم الله -جل وعلا- باللعنة والغضب على مَن آذى الرسول ﷺ لأنه كفران للنعمة، وجحود للفضل الذي أسداه الرسول ﷺ لأمته، وكيف يليق بالمؤمن أن يؤذي رسول الله مع أنه صلوات الله وسلامه عليه سبب لإنقاذنا من الضلالة، وإخراجنا من الظلمات إلى النور؟!

وهو باب الرحمة الإلهية، ومظهر الفضل والإحسان والجود :﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وصدق من

قال :

إذا الله أثنى بالذي هو أهله عليه، فما مقدار ما تمدح الورى؟ [١]

**ما ترشد إليه الآيات الكريمة :**

١- منصب النبوة منصب عظيم، ومكانة الرسول ﷺ مكانة عظيمة.

٢- ثناء الله ﷻ على نبيه الكريم ﷺ، وثناء الملائكة الأطهار مظهر من مظاهر رفعة الرسالة.

٣- احترام الرسول ﷺ وتعظيم أمره واجب على المؤمنين: لأنه من تعظيم أمر الله وطاعته - جل وعلا- .

٤- الصلاة على الرسول ﷺ ينبغي أن تكون بالصيغة الشرعية «**اللهم صل على محمد..**» إلخ.

٥- يندب للمسلم أن يصلي على الرسول ﷺ كلما ذكر اسمه الشريف ﷺ امتثالاً للأمر الإلهي.

٦- إيذاء الرسول ﷺ إيذاء لله - تعالى - وهو سبب لسخط الله وغضبه.

٧- إيذاء المؤمنين واتُهامهم بما ليس فيهم: من الكبائر التي ينبغي أن يبتعد عنها المسلم.

٨- الوعيد من عدل الله - تبارك وتعالى -، ورفعه من فضل الله ﷻ.

٩- إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وقيامهم بالتبليغ من آثار رحمة الله بخلقه [٢].

* * *

(١) روائع البيان ٢/٣٤٩.

(٢) راجع روائع البيان ٢/٣٤٨.

# اعرفوا نبيكم ﷺ

## أسماؤه :

ثبت في الصحيحين من حديث جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**».

وقال أيضًا: «**أنا محمد، وأحمد والمقفى، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**»[1].

## جمال الخلق :

وردت بعض الأحاديث والآثار التي تتضمن وصفًا شاملاً للرسول ﷺ نذكر منها ما يلي :

حديث أم معبد: عن حبيش بن خالد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ حين أخرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة هو وأبو بكر، ومولى أبي بكر- عامر بن فهيرة- ودليلهما الليثي: عبد الله بن أريقط ﷺ مروا على خيمة أم معبد الخزاعية - وكانت برزة - أي: كهلة لا تحتجب احتجاب الشابات وهي مع ذلك عفيفة عاقلة، تجلس للناس وتحدثهم: من البروز، وهو الظهور والخروج- جلدة تحتبي بفناء القبة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك. وكان القوم مرملين، أي: نفد زادهم- مسنتين- أي: مجدبين.

فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة- أي جانبها- فقال: «**ما هذه الشاة يا أم معبد؟**» قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: «**أبها لبن؟**» قالت: هي والله أجهد من ذلك. قال: «**أتأذنين لي أن أحلبها؟**» قالت: بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبًا فاحلبها.

فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها، وسمى الله - تعالى -

---

(١) رواه البخاري، كتاب: المناقب، باب: ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، حديث (٣٥٣٢). ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: في أسمائه ﷺ، حديث (٢٣٥٤)، والترمذي، حديث (٢٨٤٠) . والرواية الثانية: رواها مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ما جاء في أسمائه ﷺ، حديث (٢٣٥٥)، وأحمد في مسنده (٤/٤٠٤) .

ودعا لها في شاتِها فتفاجَّت- أي: فتحت ما بين رجليها للحلب- عليه، ودرت واجترت، ودعا بإناء يربض الرهط- أي: يرويهم ويشبعهم- فحلب فيه ثجًّا- أي: كثيرًا حتى علاه البهاء - أي: الرغوة- ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب رسول الله ﷺ آخرهم.

ثم أرادوا عللاً بعد نهل - أي ارتووا من الشرب مرة بعد مرة -.

ثم حلب فيه ثانيًا بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها- أي: على الإسلام- وارتحلوا عنها.

فقلما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنُزًا عجافًا يتساوقن هزلاً، مخهن قليل- أي: عمهن الهزال.

فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد، والشاء عازب حيال- أي: بعيدة المرعى ولم تحمل- ولا حلوب في البيت؟

فقالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا..

قال: صفيه لي يا أم معبد..

قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة - أي: ظاهر الحسن والجمال والنظافة- أبلج الوجه - أي: أبيض حسن واسع الوجه- حسن الخَلق، لم تَعِبْه نَحلة - أي: دقة وهزال- ولم تُزر به صعلة - أي: صغر الرأس- وسيم، قسيم- أي: جميل كله - في عينيه دعج - أي: شدة سواد العين في شدة بياضها- وفي أشفاره وطف- أي: طويل شعر الأجفان- وفي صوته صهل- أي: حدة الصوت مع بحح- وفي عنقه سطع- أي: ارتفاع وطول- وفي لحيته كثاثة- أي: لحيته كثيفة - أزج- أي: تقوس في الحاجب مع طوله ودقته- أقرن- أي: التقاء طرفي الحاجبين — إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبْهاهم من بعيد، وأحلاهم وأحسنهم من قريب، حلو المنطق، فصل، لا نذر ولا هزر- أي: ليس بقليل الكلام ولا بكثيره- كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن، ربعة- أي: ليس بطويل ولا قصير- لا يأس من طول، ولا تقتحمه عين من

قصر، غصن بين غصنين- وهما أبو بكر وعمر- فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يجفون به، إن قال: أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود- أي: يخدمه أصحابه ويعظمونه- محشود- أي: يجتمعون إليه- ليس عابس ولا مفند- المفند الذي ليس في كلامه فائدة؛ لكبر أصابه - ﷺ.

فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش، الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً [1].

## جمال الخلق :

قال الله - تعالى - :﴿ وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم: ٤]. وقال ﷻ :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٧]. وقال ﷺ: ((**أدبني ربي فأحسن تأديبي**)) [2].

## حكم المحبة :

محبة النبي ﷺ واجبة.. قال - تعالى - :﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ وإِخْوَانُكُمْ وأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ومَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ وجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ واللَّهُ لا

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١٠/٣)، حديث (٤٢٧٤)، والطبراني في الكبير (٤٨،٤٩/٤)، حديث (٣٦٠٥)، وذكره الهيثمي في المجمع (٥٧،٥٨/٦)، وقال: رواه الطبراني، وفي إسناده جماعة لم أعرفهم. وابن إسحاق في السيرة (١٢٩/٢).

(٢) **ضعيف:** رواه ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود.

**قال الزركشي:** حديث ((أدّبني ربي فأحسن تأديبي)) معناه صحيح؛ لكنه لم يأت من طريق صحيح، وذكره ابن الجوزي في الواهيات عن علي في ذيل حديث وضعفه. وأسنده سبطه في مرآة الزمان وأخرجه بطرق كلها تدور على السدي عن ابن عمارة الجواني عن علي وفيه فقال يا رسول الله: إنك تكلم الوفود بكلام أو لسان لا نفهم أكثره. فقال: ((إن الله أدّبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد)). فقال له عمر: يا رسول الله، كلنا من العرب، فما بالك أفصحنا. فقال: ((أتاني جبريل بلغة إسماعيل وغيرها من اللغات فعلمني إياها)).

**وقال السخاوي:** ضعيف وإن اقتصر شيخنا - يعني ابن حجر - على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه.

**وقال ابن تيمية:** لا يعرف له سند ثابتٌ. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٤٩).

يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ ﴾[التوبة: ٢٤].

يقول الفضيل بن عياض - رحمه الله- : كفى بهذا حضًّا وتنبيهًا، ودلالة وحجة وإلزام محبته واستحقاقه لها ﷺ إذ قرع الله - تعالى - من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله ﷺ وأوعدهم: ﴿ ...فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ ﴾ .

وقد نفى ﷺ تمام الإيمان عمن لم يبلغ حبه لرسول الله ﷺ فوق حبه لنفسه وماله وعياله فقال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[1].

**علامات محبة رسول الله ﷺ :**

١- الإتباع. ٢- كثرة ذكره.

٣- حب الصحابة. ٤- التمسك بالسنة والدفاع عنها.

**أولاً: الإتباع :**

قال - تعالى - :﴿ ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا... ﴾[الحشر: ٥] وأفعال الرسول ﷺ من حيث دلالتها تنقسم إلى قسمين :

**القسم الأول: الأفعال الجبلية :**

كالقيام والقعود والأكل والشرب، فهذه محمولة على الإباحة له ولأمته ﷺ إلا أنه ورد في السنة ما يرشد إلى بعض الهيئات، فينتقل حكمها من الإباحة إلى الوجوب أو الندب على ما يقرره الفقهاء، مثل الأكل باليمين، والنوم على الجانب الأيمن...

**القسم الثاني: أفعال من خصائصه :**

كالزيادة على أربع زوجات، والنكاح بلا مهر، وحرمة أكل الصدقة، وحرمة أكل كل ذي رائحة كريهة، فهذه خصائصه لا يشاركه فيها أحد.

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، حديث (١٠)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ، حديث (٤٤)، والنسائي، حديث (٥٠١٣)، وابن ماجه، حديث (٦٧) .

**القسم الثالث: أفعال يجب التأسي بها :**

وهذه حسب صفاتها الشرعية من الوجوب والندب والإباحة حسب القرائن.

**ثانيًا: كثرة ذكره :**

وذكره أي: كثرة الصلاة عليه.

**فضائل الصلاة على الرسول ﷺ :**

١- **مضاعفة الحسنات**، قال ﷺ: «**من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرًا**»[(١)].

٢- **رفع للدرجات وحط للسيئات**: قال ﷺ: «**من صلى على واحدة صلى عليه عشرًا، وحط عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات**»[(٢)].

٣- **كفاية الهموم ومغفرة الذنوب**: عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «**يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه**» قال أبي: قلت يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ (**معناه أكثر الدعاء، فكم اجعل لك من دعائي؟**) فقال: «**ما شئت**». قال: قلت: الربع؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**». قلت: النصف؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**». قال: قلت: فالثلثين؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**». قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: قال: «**إذن، تكفي همك، ويغفر لك ذنبك**»[(٣)].

٤- **سبب لنيل شفاعته** ﷺ: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا**

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) **صحيح**: رواه النسائي، كتاب: السهو، باب: الفضل في الصلاة على النبي ﷺ، حديث (١٤٩٧)، وأحمد في مسنده (١٠٢/٣)، حديث (١٢٠١٧)، وابن حبان في صحيحه (١٨٥/٣)، حديث (٩٠٤) . وصححه الألباني في صحيح النسائي .

(٣) **حسن**: رواه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق، حديث (٢٤٥٧)، والحاكم في المستدرك (٤٥٧/٢)، حديث (٣٥٧٨)، والبيهقي في الشعب (١٨٧/٢)، حديث (١٤٩٩) . وحسنه الألباني في صحيح الترمذي . وانظر: تفسير القرآن العظيم ٥٠١/٥ .

**مثلما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منْزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وارجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»** [١].

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى علي حين يصبح عشرًا، وحين يمسي عشرًا، أدركته شفاعتي يوم القيامة**» [٢].

**٥- سبب لعرض اسم المصلي على رسول الله ﷺ :**

عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا من الصلاة علي، فإن الله وكل ملكًا عند قبري، فإذا صلى علي رجل من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمد، إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة**» [٣].

**٦- طهارة من لغو المجلس :**

عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله، وصلاة على النبي ﷺ إلا قاموا عن أنتن من جيفة**» [٤].

**٧- سبب في إجابة الدعاء :**

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ» [٥].

**٨- انتفاء الوصف بالبخل والجفاء :**

عن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**من نسي الصلاة على خطئ طريق الجنة**» [٦]. والمراد بالنسيان:

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/١٢٠)، وقال: رواه الطبراني بإسنادين، وإسناد أحدهما جيد، ورجاله وثقوا .

(٣) **حسن** : وانظر صحيح الجامع (١٢٠٧) .

(٤) **صحيح**: رواه الطيالسي في مسنده (١/٢٤٢)، حديث (١٧٥٦)، والبيهقي في الشعب (٢/٢١٤)، حديث (١٥٧٠) . وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٦).

(٥) **حسن**: رواه الطبراني في الأوسط (١/٢٢٠)، حديث (٧٢١)، والبيهقي قي الشعب (٢/٢١٦)، حديث (١٥٧٥)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/١٦٠)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات . وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٢٣) .

(٦) **صحيح**: رواه ابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: الصلاة على النبي ﷺ، حديث (٩٠٨) عن ابن عباس، والبيهقي في الشعب (٩/٢٨٦) عن أبي هريرة، والطبراني في الكبير (٣/١٢٨)، حديث (٢٨٨٧) عن الحسين بن علي . وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

obeikandl.com

الترك.

**مواطن الصلاة على الرسول ﷺ :**

**١- في آخر التشهد**

**٢- في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية**

**٣- في الخطب: كخطب الجمع والعيدين وغيرهما**

**٤- عند الدعاء وله ثلاث مراتب :**

**إحداها:** أن يصلي عليه قبل الدعاء وبعد حمد الله - تعالى -.

**الثانية:** أن يصلي عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره.

**الثالثة:** أن يصلي عليه في أوله وأخره ويجعل حاجته متوسطة بينهما.

**٥- بعد الأذان: الصلاة على النبي ﷺ ثم الدعاء المأثور**

**٦- عند دخول المسجد والخروج منه: فعند الدخول: «بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب رحمتك» وعند الخروج: «بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب فضلك»، «اللهم أجرني من الشيطان»** [(١)].

**٧- على الصفا والمروة :**

كان النبي ﷺ يكبر على الصفا ثلاثًا يقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو ويطيل القيام والدعاء، ثم يفعل على المروة مثل ذلك**» [(٢)].

**٨- عند اجتماع القوم وقبل تفرقهم :**

عن النبي ﷺ أن قال: «**ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم تِرة - أي: نقص وتبعة وحسرة - فإن شاء عذبَهم**

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في ما يقول عند دخول المسجد، حديث (٣١٤)، وابن ماجه، حديث (٧٧١)، وأحمد في مسنده (٦/٢٨٢)، حديث (٢٦٤٥٩). وصححه الألباني في صحيح الترمذي. وانظر: مختصر جلاء الأفهام ص٦٣.

(٢) رواه مسلم بمعناه، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ، حديث (١٢١٨)، وأبو داود، حديث (١٩٠٥)، والنسائي، حديث (٢٩٧٢).

**وإن شاء غفر لهم))** [١].

**٩- عند ورود ذكره ﷺ :**

قال رسول الله ﷺ : **((رغم- أي: لصق بالرغام وهو التراب- أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك، ورغم أنف رجل، دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة))** [٢].

**١٠- عند طرفي النهار :**

قال ﷺ : **((من صلى على حين يصبح عشرًا، وحين يمسي عشرًا، أدركته شفاعتي يوم القيامة))** [٣].

**١١- عند الوقوف على قبره ﷺ :**

كان ابن عمر - رضي الله عنهما - يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو لأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - [٤].

**١٢- عند الخروج إلى السوق أو إلى دعوة أو نحوها :**

عن أبي وائل قال: ما رأيت عبد الله جلس في مأدبة ولا جنازة ولا غير ذلك، فيقوم حتى يحمد الله ويثني عليه، ويصلي على النبي ﷺ ويدعو بدعوات، وإن كان يخرج إلى السوق فيأتي أغفلها [٥] مكانًا، فيجلس فيحمد الله، ويصلي على النبي ﷺ ويدعو بدعوات [٦].

**١٣- في صلاة العيد :**

قال عبد الله: تبدأ فتكبر تكبيرة تفتح بها الصلاة، وتحمد ربك،

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) **حسن صحيح**: رواه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: قول النبي ﷺ رغم أنف رجل ...، حديث (٣٥٤٥)، وأحمد في مسنده (٢/٢٥٤)، حديث (٧٤٤٤) . وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) رواه مالك في الموطأ (١/١٦٦)، حديث (٣٩٧)، والبيهقي في الكبرى (٥/٢٤٥)، حديث (١٠٠٥٢) .

(٥) أي: المكان الذي لا يرتاده الناس في السوق .

(٦) مختصر جلاء الأفهام ص ٦٥ للشيخ/ محمود المصري .

وتصلي على النبي ﷺ، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تقرأ، ثم تكبر وتركع، ثم تقوم وتقرأ وتحمد ربك، وتصلي على النبي ﷺ، ثم تدعو وتكبر، وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تركع [١].

**١٤- يوم الجمعة وليلتها :**

قال ﷺ: «**أكثروا الصلاة علي في يوم الجمعة فإنه ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة إلا عرضت علي صلاته**» [٢].

**١٥- عند ختم القرآن :**

قال ابن القيم: من مواطن الصلاة على النبي ﷺ عقب ختم القرآن، وهذا لأن المحل محل دعاء، وقد نص الإمام أحمد على الدعاء عقيب الختمة؛ لأن المحل محل دعاء. وإذا كان هذا من أكثر مواطن الدعاء وأحقها بالإجابة، فهو من أكبر المواطن للصلاة على النبي ﷺ [٣].

**١٦- عند القراءة :**

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: إذا مر المصلي بآية فيها ذكر النبي ﷺ فإن كان في نفل، صلى عليه ﷺ

قال سفيان الثوري: لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة، إلا الصلاة على رسول الله ﷺ لكفته، فإنه يصلي عليه ما دام في ذلك الكتاب ﷺ [٤].

**١٧- عند الهم والشدائد وطلب المغفرة :**

وفي ذلك أحاديث.. منها حديث أبي بن كعب رضي الله عنه وقد ورد في فضائل الصلاة على رسول الله ﷺ [٥].

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى (٣/٢٩١)، حديث (٥٩٨١).

(٢) **صحيح:** رواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٥٧)، حديث (٣٥٧٧)، والبيهقي في الشعب (٣/١١٠)، حديث (٣٠٣٠). وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٨).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٨٠٩).

(٤) راجع مختصر جلاء الأفهام ٦٨.

(٥) سبق تخريجه.

**١٨- عند خطبة النكاح :**

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله - تعالى - :﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾ قال: يعني أن الله - تعالى - يثني على نبيكم ويغفر لكم، وأمر الملائكة بالاستغفار له، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ اثنوا عليه في صلاتكم، وفي مساجدكم، وفي كل موطن، وفي خِطبة النساء فلا تنسوه [١].

**١٩ – الصلاة في كل مكان :**

قال ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا وصلُّوا عليّ، فإن صلاتكم معروضة تبلغني حيث كنتم**» [٢].

**٢٠ – آخر القنوت:** قال ابن القيم – رحمه الله –: وهو مستحب في قنوت رمضان.

## من صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ :

١ – قال عليه الصلاة السلام: «**قولوا: اللهم صلى على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، والسلام كما قد علمتم**» [٣].

٢ – قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أنتم صليتم عليّ فقولوا: اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم...**»

٣ – قال عليه الصلاة والسلام: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**» [٤].

---

(١) مختصر جلاء الأفهام ٦٩ .

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود، كتاب: المناسك، باب: زيارة القبور، حديث (٢٠٤٢)، وأحمد في مسنده (٢/٣٦٧) حديث (٨٧٩٠) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

(٣) رواه مسلم كتاب: الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ، حديث (٤٠٥)، وأبو داود، حديث (٩٧٦).

(٤) سبق تخريجه وانظر: تفسير القرآن العظيم (٥/٤٩٥) .

obeikandl.com

٤ – قال ﷺ: «قولوا: اللهم صلّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[١].

٥ – قال ﷺ: «قولوا: اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم»[٢].

٦ – قال ﷺ: «قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[٣].

٧ – قال ﷺ: «صلّوا واجتهدوا ثم قولوا: اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[٤].

٨ – عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه. قال: فقالوا له: فَعَلِّمْنا. قال: قولوا: اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين خاتم النبيين: محمد عبدك ورسولك، إمام الخير وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقامًا محمودًا، يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[٥].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿واتَّخَذَ اللهُ إبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾، ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: الصلاة على النبي، حديث (٤٠٧). انظر: تفسير القرآن العظيم (٤٩٦/٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: الصلاة على النبي، حديث (٦٣٥٨).

(٣) سبق تخريجه. وانظر: تفسير القرآن العظيم (٥٠٠/٥).

(٤) **صحيح:** رواه النسائي مختصرًا، كتاب: السهو، باب: نوع آخر، حديث (١٣٩٢)، وأحمد في مسنده (١٩٩/١) حديث (١٧١٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٨٣).

(٥) **ضعيف:** رواه ابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: الصلاة على النبي، حديث (٩٠٦)، والطبراني في الكبير (١١٥/٩)حديث (٨٥٩٤). وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه.

٩ – قال ﷺ: «**قولوا: اللهم صلّ على آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، اللهم بارك على آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم**»[١].

## ثالثاً: حب الصحابة:

قال - تعالى -: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة:١٠]. وقال عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]. وقال - جل وعلا -: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

وقال ﷺ: «**الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم. ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**»[٢].

## نماذج من حب الصحابة للنبي ﷺ:

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: لو شئت لأصفه لكم ﷺ لما أطقت، ولم أكن أملأ عيني منه إجلالاً له[٣].

**وقال عروة بن مسعود لقريش:** يا قوم والله لقد وفدت على كسرى وقيصر والملوك، فما رأيت ملكًا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، ما يحدُّون النظر إليه تعظيمًا له، وما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فيدلك بها وجهه وصدره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه[٤].

---

(١) رواه البخاري بنحوه، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: إن الله وملائكته يصلون . حديث (٤٧٩٧)، ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ، حديث (٤٠٦). وانظر: تفسير القرآن العظيم (٤٩٥/٥) .

(٢) **ضعيف:** رواه الترمذي، كتاب: المناقب، باب: فيمن سب أصحاب النبي، حديث (٣٨٦٢)، وأحمد في مسنده (٨٧/٤) حديث (١٦٨٤٩) . وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي . وانظر: تفسير القرآن العظيم (٥١٤/٥) .

(٣) جزء من حديث رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله، حديث (١٢١) . انظر: موسوعة نضرة النعيم (ج٦)، والسيرة النبوية (ص ٣٢٨) .

(٤) جزء من حديث رواه البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد، حديث (٢٧٣٤)، وأحمد في مسنده (٣٢٩/٤) حديث (١٨٩٤٨) . وانظر: موسوعة نضرة النعيم (ج٦)، والسيرة النبوية (ص ٣٢٨) .

obeikandi.com

**رابعًا: التمسك بالسنة والدفاع عنها:**

لأن السنة، هي الشارحة للقرآن، والمفصلة والمبينة له، قال ﷺ: «**لقد أوتيت القرآن ومثله معه**» [١].

**نماذج للبدع التي ظهرت بدعوى محبة الرسول ﷺ :**

١ – ادعاء الصوفية أنهم يرون النبي ﷺ يقظة.

٢ – التوسل غير المشروع بالنبي ﷺ.

٣ – الاعتقاد بأن زيارة النبي ﷺ واجبة، ومن مناسك الحج، ووضعوا من الأحاديث ما يؤكد دعواهم، مثل حديث: «**مَنْ حج ولم يزرني فقد جفاني**» [٢] ومعلوم أن زيارة قبره ﷺ من المستحبات لا من الواجبات.

٤ – التمسح بالحجرة النبوية، وتقبيل الشبابيك واستلامها.

٥ – التزام الزائر بالإقامة بالمدينة ثمانية أيام، والصلاة في المسجد النبوي أربعين صلاة، حتى تكتب له براءة من النار؛ لأن الحديث الوارد في ذلك ضعيف لا يصلح للاحتجاج.

٦ – بدعة المولد في الثاني عشر من ربيع الأول.

٧ – اختراع صلوات فيها غلو مثل: «**اللهم صلّ على نور الذات.... إلى آخره**» [٣].

* * *

(١) **صحيح**: رواه أبو داود، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، حديث (٤٦٠٤)، وأحمد في مسنده (١٣٠/٤) حديث (١٧٢١٣). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه. وانظر: كتاب: [السنة والبدعة بين التأصيل والتطبيق]، أ.د: فؤاد علي مخيمر.

(٢) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٣٩/٧)، وقال: موضوع، وابن حبان في المجروحين (٧٣/٣) رقم (١١٢٨)، وقال: النعمان بن شبل يروي عن الثقات بالطامات، وعن الأثبات بالمقلوبات.

وأقول: هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به، ولا يصلح الاعتماد عليه، فإن متنه ساقط الإسناد. وأحاديث زيارة قبره ﷺ كلها ضعيفة لا يعتمد على شيء منها في الدين.

(٣) هذا الحديث لا يصح الاعتماد عليه، ولا الاحتجاج به؛ فهو من البدع الصوفية بدعوى محبة الرسول ﷺ.

# مسئولية الكلمة في الإسلام
# النداء السادس والسابع

يقول الله - تعالى - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٦٩-٧١].

## صلة النص بما قبله :

لما ذكر الله - تعالى - صلة التابعين بالمتبوعين من أهل الضلالة فقال: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٦٧-٦٨]. شرع هنا في ذكر ما ينبغي أن يكون عليه أتباع الرسل مع رسلهم عليهم الصلاة والسلام، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى ﴾.

وقيل: لما أساء بنو إسرائيل إلى رسولهم موسى - عليه السلام - نهى الحق عز وجل المؤمنين عن أن يتشبهوا باليهود في إساءتهم، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى ﴾.

## معاني المفردات والتراكيب :

﴿ الَّذِينَ آذَوْا مُوسَى ﴾ : هم بعض بني إسرائيل - قبحهم الله - حيث آذوا بعض أنبيائهم - عليهم السلام -، وقتلوا البعض الآخر.

﴿ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ ﴾ : أي: بيَّن كذبهم، ونقاء ساحته مما زعموا.

﴿ وَجِيهًا ﴾ : أي: ذا وجاهة عند الله عز وجل.

﴿ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ : أي: صادقًا خالصًا.

﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ : أي: بدخول الجنة [1].

* * *

(١) راجع هذه المواد في لسان العرب.

## من لطائف القرآن الكريم :

**الأولى**: ناداهم بصفة الإيمان ليحضهم على الاستجابة للأفعال الصالحة وترك المنهيات، كما قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء:١٣٦].

**الثانية**: في التعبير عن اليهود المجرمين بقوله - تعالى -: ﴿كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ إشارة إلى ذمهم وتوبيخهم، وذلك مفهوم من اسم الموصول.

**الثالثة**: وفي التعبير كذلك عن قولهم بشأن موسى عليه السلام باسم الموصول إشارة إلى تعظيم افترائهم وجرمهم، وأنه منكر من القول وزورًا.. واضح ذلك في قوله - سبحانه -: ﴿مِمَّا قَالُوا﴾.

**الرابعة**: في الأمر بالتقوى في قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بعد النهي عن التشبه باليهود في الإيذاء: هو من باب ذكر العام بعد الخاص.

**الخامسة**: في الوعد والوعيد أثر بالغ في تنشيط النفوس وإقبالها على الخير، وتراجعها وإحجامها عن الشر وذلك ملموس من خلال النصوص الشرعية - وهي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية -.

## سبب النزول :

١ - روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **«إن موسى عليه السلام كان رجلاً حييًّا ستيرًا، لا يُرى من جلده شيء استحياءً منه، فآذاه مَنْ آذاه مِنْ بني إسرائيل، فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده: إما برص وإما أدره [(١)]، وإما آفة، وإن الله ﷻ أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى - عليه السلام - فخلا يومًا وحده، فخلع ثيابه على حجر، ثم اغتسل؛ فلما فرغ اقبل على ثيابه؛ ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر [(٢)]، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوْه عريانًا أحسن ما خلق الله ﷻ وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر [(٣)] فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه ، فوالله إن بالحجر**

---

(١) أي: كبير الخصيتين .

(٢) أي: أعطني ثوبي يا حجر .

(٣) أي: ثبت ولم يتحرك .

لندبا [١] من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا. قال : فذلك قوله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [٢].

٢ – وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله قال: قسم رسول الله ﷺ ذات يوم قسمًا ، فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أُريد بها وجه الله ، قال: فقلت: يا عدو الله: أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه ، ثم قال: «رحمة الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» [٣].

## الأحكام الفقهية :

### الحكم الأول: في حرمة التشبه بأهل الكتاب :

اعتاد أهل الكتابين السابقين أن يؤذوا أنبياءهم ورسلهم إما بتناول أعراضهم أو إيذائهم في أنفسهم بقتلهم أو تكذيبهم،قال الله - تعالى- : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾[المائدة:٧٠]. وقد ذمَّ رسول الله ﷺ المتشبهين بأهل الكتاب فقال: «من تشبه بقوم فهو منهم» [٤].

### الحكم الثاني: فيمن آذى نبيًا من الأنبياء عليهم السلام :

ومن سبَّ نبيًّا من الأنبياء، وكان مستحلاً لذلك فهو كفر مخرج من الملة، وإن كان غير مستحل لذلك يُعَذَّر، وإن كان الإيذاء قذفًا فإن الحد يضاعف له؛ بأن يجلد مائة وستين جلدة، مراعاة لحرمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ ولأن قذفهم يزعزع الثقة فيهم، فلا ينتفع الناس برسالاتهم، كما أن في ذلك تكذيبًا للقرآن.. فقد قال الله - تعالى-: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم:٣،٤].

---

(١) أي: علامة .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، حديث (٤٣٣٥)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبُهم على الإسلام، حديث (١٠٦٢)، وأحمد في مسنده (٣٨٠/١)، حديث (٣٦٠٨) .

(٤) سبق تخريجه .

**الحكم الثالث: في وجوب التقوى :**

والتقوى واجبة، إذ أن الأصل في فعل الأمر: الحمل على الوجوب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ومجملها: مباشرة الأوامر ما استطاع المرء إلى ذلك سبيلاً، وترك المنهيات، سواء كانت أفعالاً أم أقوالاً، ومن ثمار ذلك: إصلاح الأعمال والأحوال، وغفران الذنوب، والفوز بدار السلام، كما قال - جل وعلا -: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٧].

**المعنى الإجمالي :**

لما كان السيل حربًا للمكان العالي، ولما كان أشرف الناس غرضًا للسفهاء، فقد حُذر المؤمنون من هذه المسالك، وجاء هذا النداء ليحمي أعراض الأنبياء وسيرتَهم من تطاول الرعاع.

يُحذر - تعالى - عبادَه المؤمنين عن أذية رسولهم محمد ﷺ وهو النبي الكريم، والرءوف الرحيم، لئلا يقابلوه بضد ما يجب له من الإكرام والاحترام.

وألا يتشبهوا بحال الذين آذوا موسى بن عمران كليم الله فبرأه الله مما قالوا من الأذية.

**واختلف الناس فيما أوذي محمد ﷺ**

فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قسم رسول الله ﷺ ذات يوم قسمًا، فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، قال: فقلت: يا عدو الله، أما لأخبرنّ رسول الله ﷺ بما قلت. فذكرت ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه ثم قال: «**رحمة الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[1].

يقول الإمام الشهيد - رحمه الله -: يبدو أن زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش - رضي الله عنهما - مخالفًا في ذلك عرف الجاهلية الذي تعمد الإسلام أن يبطله بهذه السابقة العملية.. يبدوا أن هذا الزواج

---

(١) سبق تخريجه .

لم يمر بسهولة ويسر، وأنه قد انطلقت ألسنة كثيرة من المنافقين ومرضى القلوب.

والمنافقون والمرجفون لم يكونوا يسكتون، فقد كانوا ينتهزون كل فرصة لبث سمومهم، كالذي رأينا في غزوة الأحزاب وفي حديث الإفك، وفي قسمة الفئ وفي كل مناسبة تعرض لإيذاء النبي ﷺ بغير حق.

وأما إذاية موسى - عليه السلام - فلم يحدد القرآن نوع الإيذاء، ولكن وردت روايات تعينه. فقد أخرج الإمام البخاري عند تفسير هذه الآية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**إن موسى عليه السلام كان رجلاً حييًّا ستيرًا، لا يُرى من جلده شيء استحياءً منه. فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب في جلده: إما برص، وإما أدرة، وإما آفة. وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى - عليه السلام -؛ فخلا يومًا وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل عليه السلام فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عُرْيانا أحسن ما خلق الله عز وجل وأبراه الله مما قالوا..**»». والحال أنه - عليه السلام - ليس محل التهمة والأذى، فإنه كان عند الله وجيهًا، مُقَرَّبًا لديه، من خواص المرسلين، ومن عباده الصالحين.

فلم يزجرهم ما له من الفضائل عن أذيته والتعرض له بما يكره. وقد ضرب بنو إسرائيل مثلاً للالتواء والانحراف في مواضع من القرآن كثيرة... ويكفي أن نشير إلى آية واحدة من القرآن... بينت حالهم مع الله عز وجل، وحالهم مع الرسول ﷺ وحالهم مع بعضهم البعض، وحالهم مع الناس جميعًا.. وهي قول الله - تعالى -: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا...﴾ هذا حالهم مع الله - تبارك وتعالى -. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ وهذا حالهم مع الرسول ﷺ ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وهذا حالهم مع بعضهم البعض. ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وهذا حالهم بين الناس.. إشعال الحروب والإفساد في الأرض ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤].

وهنا يشير إلى إيذائهم لنبيهم، ويحذر المسلمين من متابعتهم فيه. والله مبرئ رسله من كل ما يرمون به كذبًا وبُهتانًا. ويوجه القرآن المؤمنين بتقواه في جميع أحوالهم في - السر والعلن - ويخص منها: القول السديد.

**والقول السديد**: هو القول الموافق للصواب، أو المقارب له عند تعذر اليقين، من قراءة وذكر، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وتعليم علم وتعلمه، والحرص على إصابة الصواب في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه.

**ومن القول السديد**: لين الكلام ولطفه في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح. والإشارة بما هو الأصلح والقول الصالح يقود إلى العمل الصالح.

ثم ذكر - سبحانه وتعالى - ما يترتب على تقواه، وعلى النطق بالقول السديد، فقال: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: يكون ذلك سببًا لصلاحها وطريقًا لقبولها؛ لأن الاتصاف بالتقوى تتقبل به الأعمال، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]. ويوفق الإنسان للعمل الصالح. ويصلح الله الأعمال أيضًا، بحفظها عما يفسدها، وحفظ ثوابها ومضاعفتها.

كما أن الإخلال بالتقوى، والقول السديد، يسبب فساد الأعمال وعدم قبولها، وعدم ترتب آثارها عليها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ التي هي سبب هلاككم. فبالتقوى تستقيم الأمور، ويندفع لها كل محظور...

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ والطاعة بذاتها فوزٌ عظيمٌ، فهي استقامة على نهج الله... فطاعة الله ورسوله تحمل جزاءها في ذاتها. وقد بينا في آيات سابقة جزاء طاعة الله ورسوله. وكيف أنها واجبة.. وهي الفوز العظيم قبل يوم الحساب، وقبل الفوز بالنعيم.

أما نعيم الآخرة، فهو فضل زائد على جزاء الطاعة، فضل من كرم الله، والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]. ثم ختمت سورة الأحزاب بخلاصة وجيزة عن عمل البشر على ظهر الأرض أنهم تميزوا على غيرهم بحرية الإرادة، وبالتكليف الذي يميز الأخيار والأشرار.

إنّهم ليسوا دواب محكومة بغرائزها الدنيا، ولا أرواحًا محكومة بخصائصها العليا، إنّهم جنس خاص، يستطيع التسامي والإسفاف، يستطيع أن يتجه يمينًا إلى الجنة، أو يسارًا إلى النار.

وأمانة التكليف حملها الإنسان، وهو يستطيع الوفاء بحقوق الله وحقوق الناس، كما يستطيع خيانتها والعبث بها، وهذا ما أشارت إليه الآية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا وحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب:٧٢]. والآية تمثيل لما عُرض على البشر من تكاليف، ترجح بها موازين، وتطيش بها أخرى[1].

**ما ترشد إليه الآيات الكريمة:**

١ – المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

٢ – حرمة الإيذاء لخلق الله - تعالى -.

٣ – نَهى المؤمنين عن التشبه بغير المؤمنين خاصة في المنكرات.

٤ – وجوب التقوى لله على كل حال.

٥ – ثمرة التقوى والقول السديد: إصلاح الأعمال وغفران الذنوب.

٦ – طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ سبب في دخول الجنة.

٧ – معصية الله - سبحانه وتعالى - ومعصية الرسول ﷺ سبب في العذاب إن مات العصاة على ذلك، وأراد الله تعذيبهم.

* * *

(١) التفسير الموضوعي للشيخ محمد الغزالي.